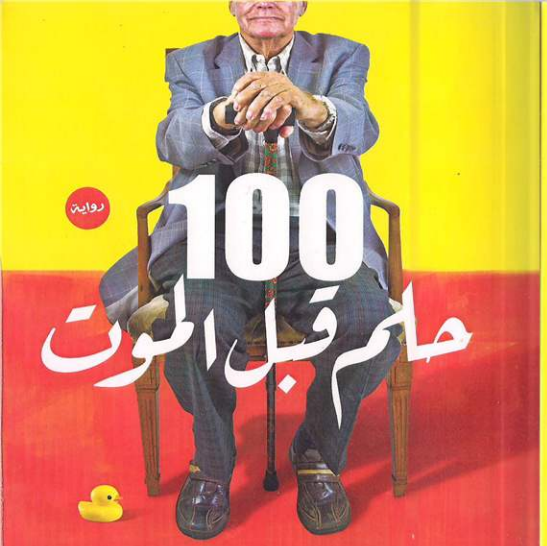

رواية

100 حلم قبل الموت

محمد جلال

ساحر الكتب

Karim Adam Designs

100 حلم قبل الموت

الموت يقترب منك الآن..
أنت تعلم هذا وتشعر به.. لكن الأمور ليست بهذا السوء..
فهناك أمر لا تعلمه..
هناك فرصة أخيرة..
فرصة ستمنحك تذكرة لرحلة أخيرة تحقق فيها 100 من أحلامك قبل الموت.. خذ وقتك في التفكير..
لكن العد التنازلي لوقت إنطلاق الرحلة قد بدأ للتو..

DIWAN BOOKSTORE
9789777780520
A Modern Fiction
L.E 24.00

(إهداء)

إلى ملاك الموت.. عَلَّهُ يجعل لقاؤنا لطيفًا..

ساحر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

شخصيات هذه الرواية من خيال المؤلف وأي تشابه بينها وبين شخصيات حقيقية فهو من قبيل المصادفة.. إلى آخر هذا الكلام الفارغ..

"أن تموت ومعك ذكريات..

أفضل من أن تموت ومعك أحلام.."

(شخصٌ ما)

ساحر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

(1)

يقف أمام المرآة.. يغلق أزرار بذلته الرمادية.. يضبط ربطة عنقه السوداء.. يتأمل تلك التجاعيد في وجهه للحظة ثم يحرك يده عليها بلطف كأنه يمسحها ثم يتناول فرشاة شعره الخاصة..

ينتبه للحظات ينظر فيها إلى الغرفة يملأ عينيه بتفاصيلها.. تزدحم التفاصيل حتى تضغط على عينه فتحرك قناتها الدمعية و... ولكن عقله يسيطر على حركة المرور هنا ليعيد عينه إلى المرآة ويحرك يده ليمشط شعره الأبيض إلى جانب.. ويمسك زجاجة عطر (سيجار) لم تستعمل منذ أكثر من مائة يوم.. بَخَّات العطر تعيد جموع من الذكريات.. وكأن كل قطرة تحمل ذكرى.. لكن عقله يقف لكل ذكرى بالمرصاد قاتلًا إياها قبل أن تصل..

يأخذ تلك الورقة.. وَيَخُطُّ كلمة عليها.. ثم يضعها بين المرآة وإطارها الخشبي..

ينظر إلى كتبه.. محظوظ هو من سيحصل على كل تلك الكتب من بعده.. كنز حقيقي يستحق أن يُحفَظ في مكان أفضل.. لكن لا وقت..

شهيق طويل وهو يفتح الشباك الخشبي.. زفير طويل وهو يرفع قدمه على طرف الشباك.. كل لحظة الآن تقذفه غارات من المشاعر والأفكار والومضات.. ولازال العقل يقوم بدوره الدفاعي على أكمل وجه..

شهيق..

زفير..

على قهوة قريبة يجلس رجلان أربعينيان في الخارج يُدَخِّنَا أحجار المعسل القصّ. ويتوعد أحدهم الآخر بعشرة طاولة قاتلة تعويضًا عن عشرة سابقة:

- النهاردة ماتش الإعتزال بتاعك يا أبو ياسين..

ابتلاع ريق..

يقطع توعدهم وأنفاسهم صوت الارتطام.. صوت الارتطام الّذي ضغط زر توقف حركة السائرين في الشارع وانطلق الكل تجاه المصدر.. البعض يتساءل والبعض يُحَوقِل والبعض يتشاهد..

وواحد فقط كان صامتًا بعد أن سقط فوق تلك السيارة الفولكس القديمة المتوقفة قبل أن تطرحه أرضًا.. واحد فقط كان صامتًا يزداد قطر دائرة الدماء أسفله وتتصاعد منه رائحة عطر (سيجار)..

وعند المرآة سقطت أيضًا تلك الورقة التي كتب عليها كلمة واحدة..

النهاية..

***

قائمة أغاني عقيمة لا تكف عن التكرار جعلت ذلك النادل يشعر بمدى تكرار حياته وتكرار كلامه وتكرار كل شيء.. اعتصر وجهه بيديه وأمسك دفتر الفواتير المطبوع عليه (سلينترو كافيه) وتوجه ناحية ذلك الشاب القادم متأخرًا على رفيقته.. بابتسامة بلاستيكية مكررة:

- تحب تطلب دلوقتي يا فندم؟

- آه واحد بيبسي لو سمحت..

- في عندنا على فكرة شيري كولا بشكل جديد هيعجب حضرتك جدًا..

- لا بيبسي عادي خالص.. (مستدركًا) ومش عايز أي ديزرت.. تشربي أيه يا (فرح)؟

قال الأخيرة بعد أن حول وجهه تجاهها أخيرًا بعدما كان يتحاشاه.. فَلَوَت (فرح) شفتاها المطليتين بروج ماركة (أم خالد بيوتي سنتر).. وأخرجت نَفَسًا من أنفها جعل شعرة تطل من مخبئها هناك.. ومنّت قائلة:

- طلبت..

النادل يقف ممسكًا بقلمه منتظرًا وهو يفكر أنه في يوم ما سينفجر ويغرز هذا القلم في أعين الزبائن وخدودهم وفي كليتهم وبين ضلوعهم ثم يغرزه في رقبته و.. إشارة تسمح له بالإنصراف أعادته ليخط في فاتورته شيئًا ما ويقول أنه تحت الأمر، وينصرف مبتسمًا.. بينما تبدأ المباراة..

- مالك بقى يا بنتي؟ قالية كده ليه؟

- مفيش يا (شادي)..

حَكَّ (شادي) مؤخرة رأسه وهو يميل للأمام.. ثم أطلق صفيرًا متقطعًا كعادته عندما يحاول أن يتماسك معها ثم قال:

- يعني أنتِ كده طبيعية مفيش حاجة.. كلام نهائي..

تتأمل للحظات الزبائن الدالفة للكافيه.. ثم تعود بنظرها له..

- لأ مفيش.. متشغلش بالك..

يتأملها يلاحظ الآن كل عيوبها.. كل عيوبها تكبر أمامه..تلك الشعرة المُطِلَّة من أنفها تستطيل ملتفة حول رقبته خانقة.. مسامات وجهها تكاد تبلعه.. طلاء أظافرها المقشر بعضه يدفعه للقيء.. شعرها المُطِلّ من أسفل الطرحة يجعل المكان ضيقًا.. وتلك السنة المكسورة يشعر أنه يُسْحَق أسفلها.. و صدرها.. لا يعيبه إلا أنه كالثقب الأسود لا يترك شعاع نظر إلا وبلعه..

- وأهو أديك مش مركز مع كلامي حتى..

- أيه!! لا مركز معاكي والله..

هل يكرهها؟ لماذا يبقى معها أصلًا؟ هو لا يعلم..

يدخل النادل ليضع الطلبات بابتسامة بلاستيكية حجم عائلي هذه المرة وينصرف، ومؤشر اقتراب انفجاره يزداد بمقياس واحد.. وضع المشروبات أعطى فرصة لـ(شادي) لجولة أخرى.. حاول أن يفكر فيما يقوله وهو يفتح

الكان ثم قرر أن يتركها حتى تُخرِجَ هي ما بداخلها.. وهي لم تجد ما تفعله فبدأت بتقليب الـ(بينا كولادا) بالماصة.. تقلب.. وهو يصنع من ورق الماصة حلزونًا.. (تن تن) بداية جولة جديدة..

- مردتش ليه على رسايلي ع الواتس؟؟

- علشان كان عندي امتحانات.. وأكيد مكنتش مركز في أي حاجة يعني..

تمسك الماصة وتأخذ رشفة لتداري نظرتها.. وتقترب من خسارة الجولة..

- وعملت أيه في الإمتحانات؟؟

- تمام..

- تمام آه.. واضح إنك ناوي تقعد السنة دي كمان.. وإن شاء الله كده على ما تتخرج أكون أنا اشتغلت واتجوزت وخَلِّفت وتبقى تيجي تنورنا في البيت إن شاء الله نعزمك على الغداء بمناسبة التخرج..

قالتها بتون صوت يرتفع تدريجيًا بلغ منتهاه مع نهاية الجملة جاذبًا أعين ذلك العجوز من أعلى النظارة، ومبددًا انتباهه عن الكتاب في يده.. كانت هجمة مرتدة على (شادي) تنبئ بخسارة جولة أخرى.. خسارة اعتادها..

- (فرح) إنتي لازم تبقى فاهمة إني بعمل اللي عليا..

- (شادي) إنت ما بتعملش أي حاجة على فكرة.. تقدر تقولي إمتى قررت توصل لحاجة ووصلتلها؟ تقدر تقولي إنت بتعمل أيه في حياتك؟ سيبك من الحاجات المهمة.. الحاجات التافهة اللي بيعملها أي اتنين بيحبوا بعض ما بتعملهاش..

- قوليلي عايزاني أعمل أيه طيب يا (فرح) علشان مش هعرفه لوحدي..

كان يريد أن يضيف (أنا مش ساحر يا بنت الـ..) ولكنه صمت وأخذ يعبث بيده اليمنى في حفاظته.. حين أكملت هي:

- أممم.. تعالى نروح السينما يوم الخميس.. في فيلم حلو عايزه أشوفه..

- حاضر.. طب بصي معلش نخليها الجمعة.. علشان الخميس مظبطه أروح أزور جدي.. بقالي بتاع شهرين فاكسله..

- وأنا الجمعة عندي خطوبة واحدة صاحبتي..

أكملت وهي تضع الحقيبة في ذراعها وتقوم من مكانها:

- بص يا (شادي) خَلّص كل مشاويرك ومواعيدك وبعدها لو لقيت وقت فاضي كده ابقى كلمني.. شوف انت عايز تعمل أيه وعرفني.. ياريت بس يكون قبل ما أمي تجيبلي عريس تاني.. لأني اللي أنا عارفاه إني مش معرف أهرب منهم أكتر من كده..

تنصرف.. (تن تن)..

وتنتهي المباراة 3:0 لصالح (فرح).. أما (شادي) فلم يجد حتى طاقة لهدنها.. وقام بهدوء ليدفع الحساب.. وينصرف هادئًا كلاعب اعتاد الخسارة.. تراقبه نظرات العجوز الهادئة..

***

(3)

دار الحضن الكبير لرعاية كبار السن..

أنزل موظف الأمن ظهره للأسفل قليلًا في تراخٍ وتأنٍ قَدَّمَ الكرسي شاكية بينما يده اليمنى تلعب بحلوى الـ(كاندي كراش) ويده الأخرى تلعب في حواري أنفه.. رفع رأسه منتبهًا وتحسس كابه بشكل تلقائي:

- أيوه يا أستاذ..

- كنت جاي زيارة..

- البطاقة؟

يتناول البطاقة بيده التي كانت تائه قبل قليل في أنفه يقلبها بخبرة محقق عتيد لا يعلم عما يبحث.. ينظر للصورة ثم يوجه النظرات المتفحصة لمقابله ثم:

- واسم الكريم ايه؟

- مش موجود في البطاقة!

- آه.. شادي محمد محيي الدين.. شادي محمد بتاع الكورة.. هههي..

يغمض (شادي) عينه ليحافظ عليها من الإنفجار في الزجاج الّذي يفصل بينه وبين هذا الكائن..

- طب امضي هنا يا كابتن.. في خانة الحضور.. آه هنا.. وأيه الشنطة دي؟ كتب؟! أنت جاي قصر ثقافة مصر الجديدة.. هههي.. البطاقة بقى معايا وأنت طالع يا كابتن..

لم يستمع (شادي) لباقي الكلام وهو يدلف للداخل.. بينما يعود الموظف لألعابه.. في الداخل كان هناك حديقة تحيط بالمبنى وكان هناك مجموعة من رواد الدار يصنعون دائرة بكراسيهم حول السيدة صاحبة التوربان (مدام فتينة) مسئولة التواصل والتي رغم أن السن رَسَمَ خطوطه أسفل عينها وحول شفتها إلا أنها بدت شابة تمامًا وسط كبار السن هؤلاء..

كانت تصيح وهي تفتح يدها:

- إحنا مش محتاجين في الدنيا دي غير حضن كبير.. الحضن الكبير بيغني عن كتير.. الحضن الكبير أيه؟

- بيغني عن كتير..

قالوها في نفس واحد وكأنها مدرسة ابتدائي.. فأكملت (مدام فتينة):

- يلا كلنا نحضن بعض.. كله يفتح حضن كبير للي جنبه..

ابتلع (شادي) ريقه.. وترك حفلة الأحضان اليابسة خلفه، وأكمل طريقه لداخل المبنى..

***

الرائحة..

هل هي رائحة الموت الّذي يحيط بالمكان منتظرًا جدول أعماله هنا.. أم هي رائحة حقيقة الحياة.. الحقيقة التي تكتشفها قرب النهاية.. حقيقة أنه ليس هنا أيُّ محاولة أخرى.. لا توجد فرصة أخرى لتجربة الحياة بخيارات مختلفة.. لقد خسرت وأنت هنا مُلْقَى في دار مسنين هذه هي حقيقتك.. أم أنها رائحة تبلد المشاعر المشاعر أيضًا تشيخ فالغضب أصيب بالزهايمر، والفرحة لازمها الشلل الرعاش.. واللامبالاة أعيتها اللامبالاة..

وربما هي رائحة (الديتول) الّذي تمسح به تلك العاملة المكان لا أكثر..

رخام السلالم، وخشب الدرابزين يحملون هبنة رواد المكان.. المكان ككل أشبه بصدرٍ مُعتّل يُجَاهِد لأخذ أنفاس أخرى في الحياة..

بعد طرقات يدخل لمكتب مديرة الدار.. (أ/هالة) والتي كَرَّسَت حياتها من فترة طويلة لخدمة المجتمع خصوصًا وأنها لم تتزوج قَطّ إلا لو أعتبرنا أن 5 خطوبات يمكن استبدالهم بعقد زواج.. محت السنين الكثير من عصبيتها.. واستطاعت من فترة طويلة بعد جلسات علاج نفسي سرية أن تسيطر على هوسها بنتف شعر رأسها (Trichotillomania) والتنازل عن الباروكة التي تكرهها أكثر من الغباء.. ربما مع ضغط العمل تمسك خصلة تلفها حول إصبعها.. ثم تتماسك وتتركها لحال سبيلها..

- مساء الخير..

- مساء النور.. اتفضل اقعد يا.. أا

- شادي..

- آه شادي.. اتفضل..

- أنا حبيت أعدي على حضرتك أطمن على جدو قبل ما أدخله.. مش عايز أكون بعطلك أو حاجة يعني..

تمسك ماوس الكومبيوتر الموضوع أمامها تضغط عليه لتلغي شاشة الإنتظار، وهي تربح ظهرها على كرسيها..

- مفيش جديد.. جدك لسه رافض التواصل مع أي حد خصوصًا أكتر من بعد ما مدام (كارمان) أسرتها خرجوها من فترة.. وللأسف كمان انتم كأسرة زيارتكم قليلة جدًا، وده بيخلي خروجه من حالة الـ(Isolationism) اللي فيها دي أصعب.. أكيد طبعًا إحنا هنا في الدار ما بنلزمش الأسرة بزيارات معينة.. لكن على الأقل انت كنت بتزوره مرة في الشهر..

- هو طبعًا أنا آسف.. بس الفترة الأخيرة فعلًا كان عندي إمتحانات..

- أنا مش بقولك كده علشان تبرر يا (شادي) لكن جدك (Special case) شوية.. أنا أي نزيل هنا بتعامل معاه كأنه جزء من عيلتي.. عارفه إسمه وعارفه هو بيحب يتنادى بأيه.. زي سيادة اللوا مثلًا.. عارفه بيحب ياكل أيه.. بيحب مين بيكره أيه.. مستني مين.. محتاج أيه.. وهو محتاجكم حواليه مهما بيّن عكس ده ومهما بَيّنْ تَمَسُّكُه بالمكان.. إنما هو مش محتاج خالص إنه يبص من الشباك فيشوف والدك وهو داخل الدار وخارج من غير ما يعدي عليه، وعلشان بس يدفع الرِنت.. دي آخر حاجة ممكن يعتاجها..

***

تحاول شاشة التلفاز أن تسرق بعض الإهتمام، ولكن الشطرنج كان قد سبقها بسرقة الكمية الضئيلة الموجودة هنا..

يجلس جوار الشباك المؤمن بحديد مزخرف وأمامه رقعة شطرنج مرصوصة..يحرك قطعة سوداء.. ثم يفكر.. ثم يحرك قطعة بيضاء.. يمسح.. ويحرك سوداء.. وهكذا..

يدخل عليه (شادي).. الغرفة خانقة كالمكان كله.. خنقة تَحَطَّم التكييف المركزي على أسوارها.. لم يمر أكثر من شهران على زيارته الأخيرة.. شهران يبدو أن النسبية تلاعبت بهم ليمرا كسنوات على الجد.. سنوات لَوَّنَت مساحات جديدة من يده ببقع العمر.. سنوات أجبرت شعيراته على التراجع أكثر.. سنوات نحتت تجاعيد عينه.. سنوات زادت من رعشة يده التي وضحت وهو يمسك بحصان الشطرنج..

خطوات..

خطوات اتخذها (شادي) ناحية جده بعد أن أغلق الباب.. خطوات أعاد فيها تأمله.. خطوات أوضحت أنه يتخذ خطواته بثقة نحو النهاية.. خطوات أنهاها بِرَبْنَةٍ على كتفه وهو يُقَبِّلُ رأسه قبل أن يجلس على الكرسي المُقابِل..

- ازيك يا جدو؟ واحشني والله.. عارف والله إن أنا مقصر معاك.. بس علشان الإمتحانات بقى معلش.. شديت حيلي ما تقلقش.. ما انت عارف إني نفسي أخلص من الكلية بس شكلها هي اللي هتخلص عليا.

كان الجد كعادته لا يرد ولم يكن (شادي) ينتظر أيَّ رد.. إلا ردود فعل بطيئة مُجْهَدَة كازدياد اتساع العين قليلًا ربما انثناءة في الرقبة.. ولكنه لم يتوقف عن لعب الشطرنج..

ساحر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

- طب تحب ألعب معاك زي زمان.. شكلك خايف مني ومش عايز تلاعبني.. آه صحيح شوفت جبتلك أيه.. ما جبتلكش الجورنال المرة دي وجبتلك الكتاب ده.. ده من الكتب اللي كانت في أوضتك على فكرة..

قال (شادي) وهو يُخرج كتاب (أعجب الرحلات في التاريخ) لـ(أنيس منصور) وأكمل:

- أنا لقيته متوقع كمان.. (العزيز جدًا مُهاب أنتظر موافقتك على ما تحدثنا عنه قبل رأيك في الكتاب.. أنيس منصور).. هو مين (مهاب) ده يا جدو؟ ولا انت اشتريت الكتاب كده؟

لا رد.. فقط يد مترددة تحرك قطع الشطرنج.. و(شادي) يحاول أن يملأ الوقت بأي كلام..

أما داخل الكتاب.. فكانت تلك الورقة المثنية تسقط ببطء من بين كعب الكتاب وغلافه السميك.. تتزحزح من مكانها وتسقط.. تتبعها عين (شادي)، ويد الجد والتي تحمل عسكري أبيض تثبت للحظة.. ويد (شادي) تمتد لتمسك الورقة.. يفكك إنثنائها بهدوء.. يفكك.. يفكك.. يقرأ..

- ورقة تنفيذ أحلام.. بحلم أن يكون حولي كل من أحبهم ويحبوني..

يسقط العسكري.. ويلتفت الجد بسرعة، وبدا كأن الجملة أرجعته سنوات عديدة للخلف وتفلتت من شفاته أول كلمة يقولها من فترة طويلة للغاية:

- انت؟؟

***

(4)

1976 تقريبًا..

كوب شاي من تلك النصبة على الكورنيش أعاد بث الحياة إلى خلايا مخي.. أقطع الشارع إلى الجانب الآخر.. أمشي قليلًا إلى أن أجد نفسي أمام تلك البناية التي عَشَّشَت بعض السقالات الخشبية على واجهتها.. وهناك على مدخلها كُتب (دار المعارف)..

في الدور الثامن كنت أجلس أمام مكتبه.. وبين حين وآخر أنظر تجاه الشباك الذي تلطخ بالطلاء.. أخرجت علبة سجائري الكليوباترا ومددت يدي بها تجاه (أنيس منصور)..

- لأ مليش فيها خالص.. لا حبيتها ولا هي حبتني..

وضعت السيجارة بفمي وأشعلتها وفتحت الشباك أكثر وأسندت ذراعي عليه، وهو يكمل:

- أول سيجارة شربتها كانت في مؤتمر القارات الثلاثة في كوبا.. ومين اللي صمم بقى إني أشرب؟ فيدل كاسترو نفسه.. مش مقتنع إن في حد ما بيشربش.. وصمم إني أشرب وبارتها كانت سيجارة إنما سيجار كوبي قد كده.. معرفتش أقول لأ طبعًا.. وخدت نَفَس من هنا وهناك يا كحة وكان شكلي مسخرة.. بعد ما خلصت بقى راح مطبطب على كتفي وقالي بس كده

انت حطيت رجليك على طريق البداية ومش هتعرف الكحة تاني وهتعرف بقى مزاج الدخان.. بس واضح إن كاسترو هو اللي ما يعرفنيش..

قالها (أنيس) وهو يضحك.. كان واضحًا أنه حكى هذه القصة 589 مرة من قبل ويعلم كيف يلقيها تمامًا.. ويبدو أيضًا أنه كان يُلَمِّح لِإن أُطفِيءَ السيجارة، ولكن تلميحه احترق بطرف سيجارتي مع نفمي التالي..

أكمل أنيس:

- طيب نخلينا في المهم.. احنا بنعمل مجلة جديدة وبتكليف من الرئيس السادات شخصيًا..

قالها وهو يطرق بإصبعه على زجاج المكتب مُشِيرًا إلى موضوع ما عليه.. اقتربت لأطالع تلك الورقة أسفل الزجاج مُدَّعِيًا إبداء الاهتمام ولمحت بعيني آخر سطر كُتِبَ فيها "عايز مجلة ملهاش مثيل" وَذُيِّلَت بإمضاء السادات..

ثم عدت ناحية الشباك.. وأكمل (أنيس) :

- إحنا هيكون المقر بتاعنا هنا.. الرجالة هنا كمان بيفضولنا دور تاني.. فالموضوع هيكون أحسن.. قولت أيه؟

- في ايه؟

قلتها وأنا أُشعِلُ سيجارة بطرف الأخرى..

- كل عدد ننشر فصل من الرواية بتاعتك.. أنا سمعت من ثقات إن فصلها الأول كان عظيم.. هيكون لطيف إنها رواية عن حرب أكتوبر كتبها

حد من أبطال أكتوبر، وبتتنشر في مجلة أكتوبر.. آه صحيح رأيك تبقى أكتوبر ولا 6 أكتوبر ولا 10 رمضان علشان الإخوان ما يزعلوش..

قالها وضحك.. سعل في نهاية ضحكه ليتماسك.. فرددت وأنا أعدل وقفتي:

- مش هتفرق.. أي حاجة بتنجح بتدي لإسمها لمعان النجاح ده، وبتخلينا بعد كده نشوف إنه كان أنسب إسم.. فمش هتفرق..

- ممكن..

قالها بشفة سفلى نصف مقلوبة، ووقف يُطالِعُ رَفًا وضع عليه بعض الكتب.. أخرج من بينهم كتاب ضخم.. وجلس.. أخرج نضارته المعلقة في جيب قميصه ارتداها وخَطَّ عدة كلمات على أول صفحة في الكتاب، وناوله لي..

- وده عربون لقاؤنا الأول..

ثم خلع نظارته ووضعها في جيبه واستطرد..

- مش عايزه يكون الأخير..

***

- جدو.. أنا أكيد مبسوط إن أنت رجعت تتكلم معايا.. بس تفاصيل كتير وما فهمتش برضه إنت عايز توصل لأيه!

- ما أنا لمه ما كملتش يا وسخ..

- وسخ!!

- آه.. لايق عليك الإسم ده.. وباتسكت يا أسكت أنا؟

- خلاص يا جدو.. أنا آسف.. كمل..

***

باختصار..

خرجت من (دار المعارف) وأنا أعلم أنني لن أعود.. لم أكن أود نشر تلك الرواية.. في الحقيقة لم تكن هناك رواية.. ربما هو فصل واحد فقط كُتِبَ في أوراق ضائعة.. ولا أعلم لماذا لازالت ناره مشتعلة بعد مرور حوالي ثلاث سنوات..

أتذكر تلك المرة عندما استدعاني الرائد (وصفي).. ولكنه لم يكن استدعاءًا إنما كان يحصل على وعد مني بأن يكون بطل هذه الرواية عندما تتحول لفيلم.. ولا يَهُمّ.. لقد جِئتُ عن مسار القصة مرة أخرى..

أمشي في الشارع مفكرًا.. ما الّذي أريد فعله في الحياة؟ أعلم أنني لا أريد أن أكون كاتبًا؟ لأكون صريحًا أنا لمست كاتبًا أصلًا؟ ربما كتبت فصلًا من رواية.. لم أعلم كيف كتبته ولا أعلم لما أعجب كل من قرأه..

ولكن كيف فعلًا أنوي تقضية ما تبقى لي في صراع مع هذه الحياة.. ربما أعلم ما الّذي لا أريد فعله..ما لا أريد فعله هو أن أظل مستمرًا في هذا الصراع حتى النهاية.. أريد أن آخذ فترة هدنة وراحة قبل النهاية.. ربما يمكن التعامل مع هذا كهدف.. هناك هدفًا الآن ولكن تبقى أن أختار سهم الوسيلة القادر على إصابة الهدف..

ورأيتها تقف هناك..

لا لا موسيقى رومانسية ليست الأمور كما تظن.. كانت عجوز متشحة بالسواد.. وتظلل رأسها بشال أسودمنثي أعلى رأسها وانسدل على كتفها وظهرها.. وكانت هناك شمسية سوداء أيضًا عَلَّقَتْهَا على ذراعها الّذي حملت يده عدة أكياس كاليد الأخرى.. وتقف بجوار الرصيف يبدو أنها تنتوي المرور.. ويبدو أنها لن تفعل ذلك..

أريد أن أضيف لقائمة ما الّذي لا أريد فعله.. أنني لا أريد أن أكتفي بتكملة طريقي وكأنني لم أراها.. ساعدتها حتى عبرت الجانب الثاني.. ثم أضفت للقائمة أنني لا أريد تركها هنا وكفى.. حملت الأكياس ونحن نعبر بناية تلو الأخرى.. وجعلتها تتسند على جسدي ونحن نصعد السلم.. أردت النزول ولكنها تمسكت بيدي.. لا بأس بكوب أيّ شيء سريع..

دخلت وأغلقت الباب ولاحظت هنا أنها أغلقت بالمفتاح والترباس.. وأعلم أنها لاحظت أنني لاحظت.. وقبل أن أتخذ أي رد فعل.. رفعت الشمسية أمام وجهها وفتحتها لتصبر ستارًا بيني وبينها.. ستارًا أخذت تجعله يدور ويدور.. ستارًا رأيت من أسفله تساقط شالها ورداؤها و..

ولا أعلم ما الّذي يدور في مخيلتك الآن.. لكنه خاطيء بالتأكيد.. فالأمور أخذت منحنى لم أصدقه رغم أني كنت جزءًا منه.. والغريب أنك أيضًا صرت جزءًا منه..

وأعلم أنك تريديني أن أكمل الآن، ولكني سأصمت قليلًا..

***

(5)

طرقات على الباب.. ثم تدخل الممرضة ضمن فريق الرعاية الطبي بالدار.. ممرضة عبارة عن إيموشن ضاحك سمين..

- سيادة اللوا عامل أيه النهارده؟

وتتحس بيدها على جبهته..

- لأ الحرارة تمام.. وعندك ضيوف كمان أهو محدش قدك يا عم.. خلصنا الأكل ولا لأ؟ دا إنت شطور خالص.. طب وشوية الرز دول عازم الشيطان عليهم ولا أيه؟ أفتح بوقك يلا.. يلاا!.. برافو.. يللا بقى الدوا.. يلا بقى أنا لسه قايلة شطور.. يلا المياه أهي.. أيه الحلاوة دي يا سيادة اللوا.. يلا هسيبك مع ضيوفك يا عم..

تنقلب وجهتها متوجهة للباب، متزامنًا مع انقلاب وجهها بعد الفقرة الفنية التي تقدمها لمجموعة من رواد المكان 3 مرات في اليوم.. تغلق الباب وتطرق باب غرفة أخرى ثم تفتحه متزامنًا مع انفتاح فمها بابتسامة..

ما أن تخرج من هنا حتى يُخرج الجَدُّ منديلًا من جيبه يبصق فيه كبسول الدواء الّذي علقه في جانب فمه.. وينظر لشادي:

- الدوا ده ولاد الهرمة عاملينه علشان تبدأ تنسى كل حاجة.. فتحص إنك مالكش حد ولا حاجة غير هنا.. وتفضل أنت محتاج الرعاية وهما يفضلوا

يحلبوا اللي بيدفع.. أنا كده كده مش عايز أخرج من هنا بس برضه مش عايز أنسى..

- طب ما تنسينيش بقى وقولي أيه اللي حصل بعد ما فتحت الشمسية.. وقعدت تلفها تلفها..

***

كانت الشمسية تدور تدور.. الموقف خاطيء وأنا أريد أن أهرب من هنا الآن..

ولكن الباب موصد، وأنا أيضًا أريد أن أعلم ما يدور هنا غير تلك الشمسية..

وأخفضتها أخيرًا.. ولم تعد هي موجودة وصار مكانها كتلة من الضياء الأبيض جعلتني أغمض عيني للحظة.. قبل أن أفتحها تدريجيًا لتستوعب ما هناك.. كان جسد بشري ناصع البياض.. بياض غير عادي يعطي وهجًا يمنعك عن كمال الإدراك.. وكان هناك جناحين يُحلِّقان من خلف ذراعيه!

ما الّذي سيحدث الآن هل سأفيق من الحلم.. أم سأسقط مغشيًا عليّ؟

لا هذا ولا ذاك وتكلم هو قبل كل شيء.. تكلم دون أن يتكلم وكأن كلامه يخترق تلافيف عقلي مباشرة دون أن يمر على الأذن.. وتبدلت الرهبة إلى طمأنينة..

كان كلامه يدور حول أنه كان قد سئم الخير من بنو آدم.. ولذا قرر أن يجري هذا الإختبار.. وأن أول من سيساعد تلك العجوز هو من يستحق

الهدية.. إنها ورقة تنفيذ أحلام.. كل واحد من عشيرته يعطى واحدة تصلح لتنفيذ حلم واحد لمائة شخص.. ولكنه لم يجد من يستحق أن يمنحه حلم واحد ولذا قرر أن يمنحها كاملة لأول من ينجح في الإختبار.. وأنا نجحت وفقًا لكلامه..

كان يملك قوة تجعل كلامه عقلانيًا واضحًا لا يرفض..

طلب مني أن أملأ تلك الورقة.. التي كتب في منتصفها "ورقة تنفيذ أحلام".. ثم كلمة "بحلم" بخط أكبر.. طلب مني أن أكتب في كل سطر من المائة حلم واحد.. وبعدما أنتهيت.. أخبرني أنني سأنسى كل هذا بمجرد انتهائي من الكتابة.. وأكمل بنبوءة أن الورقة ستعود بحملها من سيحقق لي كل تلك الأحلام قبيل أن أموت..

وها قد عادت الورقة.. وها أنا أتذكر.. وها أنا أقترب من الموت..

***

- معلش يا جدو إنت عايزني أصدق إن الفيلم ده حقيقة؟

- لأ.. مش مهم..

***

كان الجد يقف أمام الشباك يمسك بيديه الحديد الموضوع على الشباك وكأنه سجين يتوق إلى الحرية.. ثم تكلم دون أن يغير اتجاه نظره موجهًا كلامه إلى (شادي) الذي كان يكتب رسالة على موبايله..

- لو بتعرف أبوك إني اتكلمت معاك هزعل منك..

- أنت مش عايزه يعرف؟!

- ولا عايز حد أي حد يعرف.. السكوت راحة.. وأنا عايز أرتاح..

ثم عاد ينظر من الشباك.. لحظات ثم أكمل:

- أنت عارف ياض يا شادي.. جدك عمره ما خاف من الموت.. الموت مش مؤذي.. الموت بيأذي بس اللي بيحبوا الميت.. إنما الموت ده أحلى حاجة.. في أحلى من أنك تخرج برة اللعبة الوسخة اللي اسمها الحياة دي.. وتسيب بقى وجع الدماغ بتاع الناس اللي المفروض تهتم بيه، والناس اللي أنت عايزهم يهتموا بيك.. وتسيب سباق الجري اللي كلنا ممسحولين فيه ده.. عارف كنت بحلم إني لو أقدر أوقف اللعبة على الكل في نفس الوقت.. كله يموت في نفس الوقت على الأقل لا حد يزعل عليا ولا أزعل على حد.. هيبقى أحلى جيم أوفر..

ترك الشباك وعاد بخطوات يشوبها العَرَج مقتربًا من (شادي) وهو يقول:

- وريني الورقة دي أما أشوف اللي فيها..

وهنا انفعل (شادي) فجأة، وسحب الورقة من يد جده، وهو يقول:

- ممكن يا جدو ما لكش دعوة بالورقة دي تاني.. مش أنا المفروض اللي محققلك اللي فيها يبقى أنا المسئول عنها لو سمحت..

ابتسم الجد بجانب فمه ابتسامة بها قدر من الإستهزاء وهو يقول:

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

- بص لو عايز تحققلي حاجة فعلًا يا وسخ.. تعالى نطلع على إسكندرية في حد هناك لازم أشوفه..

- أنا قاعد بفكر نطلع من هنا إزاي الأول.. هو في فكرة جات في دماغي كده.. إنك تلبس لبسي مع الكاب، وتخرج من هنا كأنك أنا.. وأنا بعد ما تخرج أخرج وراك عادي و..

كان الجد ينوي مقاطعته لكن (شادي) استدرك:

- آه فعلًا بس الكانن السقيل اللي ع البوابة هيقفشك.. خلاص أنا دلوقتي هفكك الحديد اللي ع الشباك ده وهستخبى في الحمام، وهجيلك قبل الفجر و..

ثم استدرك:

- بس نفس الكانن السقيل هيكتشف إن أنا ما خرجتش علشا ممضتش في خانة الإنصراف.. خلاص أنا أجيلك تاني بكرة وهمضي حضور وانصراف مع بعض وهو مش هياخد باله وأجيب حبل كمان علشان نتزل بيه و..

- بس اسمعني أنت.. وقال أنا اللي بتاع أفلام يا وسخ!! الخروج من هنا أسهل من كده خالص..

***

- يعني يا أستاذة هالة حضرتك بتقولي إنك مهتمة بكل نزيل وأنا جدي يبقى حالته كده؟

قالها (شادي) بانفعال في وجهها دون حتى أن يطرق الباب.. ردت وهي تتصنع الهدوء:

- ممكن تهدى شوية الأول وتفهمني وبعدين تنفعل زي ما إنت عايز..

- اللي أنا عايز أفهمه في دكتور في المخروبة دي ولا أنتوا بتاخدوا فلوس على أيه؟

ضغطت بلسانها على ضرسها وهي تلف خصلة من شعرها على إصبعها:

- أستاذ شادي أنا فعلًا مش هعرف أsolve مشكلة وأنا مش فاهماها..

- المشكلة إن أنا جدي واضح إن رجليه مكسورة وواضح إن دي مش مشكلة خالص بالنسبة لحضرتك..

تُضَيِّقَ (هالة) المسافة بين عينها، وتترك خصلة الشعر التي كانت قد أقتربت كثيرًا من نزعها..

***

أرقام العداد الحمراء لازالت تتكاثر وهو يمر بمحاذاة الكورنيش ووفقًا للطريق الّذي طلبه الجد.. بعد أن حصل (شادي) على تصريح للخروج بالجد لعمل أشعة على قدمه.. تصريح لمدة 24 ساعة..

كان الجد كعادته يُطِلُّ من الشباك.. وسائق التاكسي يُطِلُّ من المرآة كل فترة كعادته أيضًا.. قال (شادي) وهو يربت على قدمه فاتحًا باب الكلام:

- بس أيه رأيك في الخطة؟

- رأيي أيه! ما أنا اللي قايلها..

- تؤ.. أيه رأيك في الأداء يعني؟

- مفتعل زيادة عن اللزوم..

قال (شادي) وهو يبتسم ويهز رأسه موافقًا:

- ماشي.. بس أنا ليا كام سؤال عندك..

- ما لكش حاجة عندي على فكرة.. بس أنا هديك مني 3 أسئلة وخليك محدد علشان ما ترجعش تقول التفاصيل ومش عارف أيه..

- طيب أول حاجة هو أيه الكيس اللي كنت حاطه تحت السرير وخدته معاك وإنت نازل؟

- تصدق ياض يا شادي إنت عيل أهبل.. لو كان استنى السائل ع المسئول كان عرف لوحده..

ثم وَجَّهَ كلامه للسائق:

- على أي جنب كده ياسطا ثواني..

ثم نزل الجد من السيارة وفي يده كيس أسود ناوله لشحاذ يجلس في جانب. وما أن رأى الشحاذ الجد حتى انفرجت شفته قليلًا ودار بينهم حديثًا قصيرًا لم يستطع (شادي) من مكانه في التاكسي أن يفهم مغزاه.. وأخرج (شادي) موبايله ليتصل بشخص آخر غير والده.. حتى عاد الجد للتاكسي فأنهى (شادي) المكالمة ووجه كلامه لجده:

- أنا كلمت حماده صاحبي.. أبوه عنده معرض عربيات هنأجر من عنده عربية نروح بيها إسكندرية زي ما إنت عايز..

- والعربية بتاعتي فين؟

- يا جدو العربية بتاعتك دي إتسرقت بعد ما إنت دخلت الدار بفترة.. وبعدين العربية الفولكس دي ما تعرفش تخرج برة حدود القاهرة..

- والله إنت اللي ما عارف حاجة.. هو في زي العربية دي!

- طيب سيبك من العربية يا جدو.. هو إنت تعرفه؟

وأشار (شادي) برأسه قاصدًا الشحاذ.. فأجاب الجد:

- آه معرفة منفعة.. هو عايز ياكل وأنا ما أعرفش أبدًا آكل أكل العيانين بتاع دار المسنين ده.. وعلشان كده بجيبله الأكل..

- بتجيبهوله إزاي؟!

- سؤال غبي بس هجاوبك.. بجيبهوله كل يوم زي ما إنت شوفت من شوية كده.. بخرج وأديهوله..

- ثواني هو أنت بتخرج من الدار عادي؟!

- ثواني إنت.. الأسئلة التلاتة بتوعك خلصوا.. شغلنا والنبي حاجة ياسطا..

جمع السائق بلغمًا من حلقه ثم بصقه خارج السيارة وأردف:

- الكاسيت بايظ والله يا عم الحاج.. الهيد بتاعه عايز يتمسح لا مؤاخذة.. أغنيلك أحسن..

وانطلق يغني (وعمار يا إسكندرية) بصوت لَوَّثَهُ البلغم وكلاكسات على لحن الأغنية..

***

اسكندرية الصحراوي.. الكيلو 28..

تقطع الهيونداي فيرنا المؤجرة ذات اللون الفضي الطريق الهادئ مقارنة بالإزدحام داخلها والّذي يدور في خلايا مخ (شادي).. لماذا يشعر بتلك المسئولية تجاه جده وأحلامه؟ هل القصة الّتي حكاها الجد والّتي جعلته

لأول مرة جزء من الحدث هي السبب؟ هل يسعى لأن يفعل شيئًا في حياته هو أم حياة جده؟ هل جده أصلًا لازال متمسكًا بتلك الأحلام؟

من الّذي يريد مقابلته في الإسكندرية؟ ما الّذي سيحدث عندما تكتشف الدار اختفاء الجد؟ وما الّذي سيفعله والده؟ لطالما أبدى والد (شادي) عدم رضاه التام عن زياراته لجده..

بوابة الخروج من القاهرة تقترب..

ما مقدار الحقيقة فيما يحكيه جده؟ ومن هو مهاب؟ بل الأصح من هو جدي؟

بدأت الشمس في تمزيق رداء السماء الأبيض لتكشف عن ساقها السوداء المخضبة بدماء الشفق الأحمر.. ويقطع شخير الجد تفكير (شادي)..

سيحقق أحلام جده أيًا كان.. لقد قبل التحدي.. لقد قبل بأن يفعل شيئًا حقيقيًا في حياته مهما تكفل الأمر..

يعبر البوابات، ويتجاوز طريق العودة.. صاحت إحدى خلايا مخه "لقد بدأت الرحلة" وتردد صوتها في جميع أنحاء رأسه..

***

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

(7)

- ما تشوفلنا حتة كده نفضي مايه فيها..

- طب استنى أعدي التريلا اللي ورايا دي وأركن على جنب..

- عايزني أعملها في الصحراء يا وسخ؟ شوفلنا حتة نضيفة كده علشان نشرب حاجة بالمرة..

زام (شادي) مفكرًا:

- بس هو في مشكلة يا جدو.. أنا الفلوس اللي باقية معايا بعد إيجار العربية يا دوب تكفي بنزين واحنا راجعين ولو كلنا حاجة خفيفة..

- أهي الفلوس دي أوسخ منك يله..

- الله يكرمك..

- أنا بكلمك بأمانة يعني.. شوية ورق ملوش معنى إتطبع عليه حبة رسومات وكلام ملهمش معنى.. بقوا هما الحاجة الوحيدة اللي ليها معنى عند البشر.. شوفت الوساخة.. المهم يعني متقلقش خالص من ناحية الفلوس.. جدك شايل وساخة كتير..

***

محطة توتال..

أفرغ الجد مثانته وترك لشادي المجال ليقوم بنفس الأمر.. كان شادي يغسل يده عندما سمع صوت صياح وتعارك..

- وأنا قولتلك يا فندم مينفعش متخلنيش أعملها معاك.. أنا ماسك أيدي إنها تعمل أكشن في وشك..

صاح بها كاشير ماركت المحطة بعصبية، وهو يلكم باطن يده بيده الأخرى.. وقال الجد بهدوء وهو يحمل بعض المنتجات لا ينوي تركها..

- ولا تعرف تعمل حاجة.. أنا شايف قدامي بوء كبير بيتحرك..

- في أيه؟ في مشكلة يا جدو؟

قالها (شادي) وهو يخطو خطوات واسعة سريعة تجاه جده..

- مشكلة أيه يا شادي اللي هيعملها بوء غير إنه يكون بيتفتف كتير وهو بيتكلم!!

قاطع الكاشير كلام الجد وقال بعصبية وهو يحلب ذقنه:

- طب ما تقولش بوء تاني علشان ما أزعلكش..

قال (شادي) وهو يحاول أن يستجمع شجاعته.. فنَحَّى جده جانبًا:

- تزعل مين يا معلم؟

رد الكاشير بعصبية فتحت مضخات الدماء في وجنتيه، وقد تحول إلى ضرب قبضتيه في بعضهما:

- أزعل أي حد..

تدخل عائلة إلى الماركت.. يتبادلون النظرات.. فيعطوهم ابتسامة كأنهم يبددون أثر الجزّاك حتى تختفي العائلة بين رفوف المنتجات.. قال الجد للكاشير بصوتٍ خافت بعد أن ناول ما يحمله لـ(شادي) واستند بيديه على المنضدة الفاصلة بينهم..

- أنا عايزك تزعلني..

- بص أنت راجل عجوز وما كنتش عايز أعملها معاك.. بس من عيني..

قالها بصوت خافت أيضًا وعينيه ينطلق منها الشرار.. وهو يتحرك ليدور حول المنضدة ليواجه الجد.. تسبقه لكمة من يده.. تصاعدت الأحداث بسرعة غريبة لم يدركها (شادي) وحين ترك ما في يده وتوجه ليوقف الكاشير كانت الأمور لم تتوقف عن سرعتها.. تحول الجد إلى رجل المستحيل وقابل الجد اللكمة بانثناءة سريعة.. واستغل دوران جسد خصمه متبعًا للكمته.. ليدور من خلفه ويهدي خصمه ضربة بمقدمة قدمه بين فخذيه..

ينثني الكاشير ألمًا.. ويعطيه الجد ضربة وداع بالكوع ليجعله يحتضن الأرض.. تخرج العائلة التي كانت بالداخل على أثر الصوت.. ينظرون تجاه المستلقي على الأرض ثم ينظرون إلى الجد الذي يبتسم لهم ويشير لهم ما معناه أن المستلقي على الأرض نائم قليلًا.. تخرج العائلة بسرعة خوفًا.. بينما (شادي) متسمرًا في مكانه ينظر لجده..

***

في مكتب مدير المحطة كان (شادي) لازال مستمرًا في صمته يجلس في مقابلة جده يرمقه بتلك النظرة.. وكان الكاشير يقف بجوار المكتب وقد رسمت الدماء بعض اللطخات بجوار فمه وأسفله..بينما المدير ذو النضارة والقميص الأبيض وربطة العنق يقول وهو يمرر كارت الفيزا في ماكينة الدفع لتتكشف سنتيه الكبيرتان:

- إحنا آسفين خالث يا فندم على الموقف اللي حثل ده.. يعني مش عارف أقولك أيه بث أوعدك أكيد أنه مش هيحثل تاني خالث..

ثم ينظر تجاه الكاشير ويكمل:

- مش عايز أبرر.. بث دي فعلًا أول مرة حثين يغلط في حد.. حثين ده طيب خالث والله..

- أنا مش مهم عندي والله إن حسين طيب ولا شرير.. أنا مش جاي أطلبه لبنتي..

- عندك حق تنفعل خالث يا فندم والله.. أنا مش بيرر بث حضرتك كان ممكن تجيبله الفيزا من غير ما تطلع بالحاجة بره الماركت..

- ده على أساس إني هبرب بإزازتين مياه وبيبسي؟..

- العفو يا فندم والله.. وأنا بتأثفلك تاني يا..

ونظر إلى الفيزا كارد.. واستكمل:

- يا مينا بيه والله.. وحثين كمان بيتأثفلك.. ثج يا حثين؟

نظر (حسين) إلى الأعلى وهو يقول:

- اللي حضرتك شايفه..

قام الجد من مكانه وهو يتناول الفيزا كارد من المدير وهو يقول:

- مش مشكلة خلاص.. يلا يا شادي.. شادي..

قالها الجد ليمحي شرود (شادي) من محل نظره.. فيلاحظ (شادي) أنه لم يعد ينظر إلى وجه الجد إنما لشيءٍ آخر يخص الجد.. ثم يكمل الجد كلامه للمدير:

- وعموما أهي فرصة مش سعيدة.. يلا بينا احنا يا شادي..

وقبل أن يخرج التفت ليضغط زر الغضب داخل (حسين) وهو يقول مُقَلِّدًا المدير:

- وألف ثلامة على بوقك يا حتين..

في السيارة.. جلس شادي في مكانه خلف المِقْوَد.. وجلس الجد بجواره بعد أن وضع المشتروات في الكرسي الخلفي.. نظر لشادي وقال:

- مالك ياض؟ ما دَوْزِتْش ليه؟

صمت شادي للحظات وهو ينظر أمامه ثم قال:

- هو إنت حكايتك أيه بالظبط؟

***

(8)

لازالت الهيونداي تلتهم الطريق وتلتهم الأرقام المشيرة إلى الكيلوات الباقية لتنقص في كل قضمة.. بالإضافة إلى بعض كسرات الطريق التي أكلتها غصبًا..

وكان شادي الآن يلعب دور الحاوي الّذي يحاول أن يسيطر على ذلك الثعبان العجوز.. الثعبان تلاعب كثيرًا في حوارهم حتى الآن، و(شادي) سيعيده لنقطة الصفر:

- أيوه يعني إنت حكايتك أيه بالظبط؟

- أنبي حكاية فيهم؟

- يعني إنت مينا ولا مهاب ولا محيي الدين ولا مين بالظبط؟

- أنا كل دول وأكتر.. بص يا شادي علشان أكيد لا إنت عايزني أعيد الكلام، ولا أنا بطل العالم في تكرار الكلام.. الحياة دي أنا عيشتها أكتر من مرة..ممكن أبقى أقولك إزاي بعدين لو بطلت توجع دماغي وتعاملها زي البير اللي قاعد تحفر في أمه..

ثم استدرك:

- قولي يا شادي لو إنت كنت شخصية في رواية كنت هتكون إيه؟

الثعبان تفلت من حاويه والتف عليه..

يأخذ شادي نفسًا طويلًا يزفره ببطء وهو يبحث عن بداية لرده.. ثم رد وهو يهز رأسه نفيًا في البداية:

- أنا شاب عادي من جيل الزلزال.. الزلزال اللي بحس إنه مش ضرب الأرض بس ده ضرب الجيل كله.. شخصيات مهزوزة مش عارفين إحنا عايزين إيه! مش فاهمين إحنا المفروض نعمل إيه! مش فاهمين هما الأجيال الكبيرة دول عايزين منا إيه! الدين والسياسة و والثقافة والحب والجنس والإجتماعيات كله مهزوز ومتلخبط.. حاسين إن إحنا ما ينفعش نعمر تاني هنا فوق الأنقاض وعندنا قناعة إن احنا حتى لو عَمَّرْنَا هييجي زلزال تاني يوقع كل حاجة.. واحنا كجيل متنكس أصلًا.. وتنكيسة فكسانة مش هتستحمل وهنقع من غير قومة.. فعشان كده كل جيلنا ده بيدور إزاي يخلع من هنا.. أنا بقى واحد من ضمن الجيل ده.. زي زيهم بالظبط مفيش حاجة مميزة تخليني أنفع شخصية في رواية..

- بس بالبوقين دول تنفع شخصية في مسرح جامعة حلوان زي الفل..

قالها الجد وضحكا معًا.. ثم قال الجد وهو يشير إلى مبنى لم يظهر منه الكثير بفضل السور والحديقة اللذين يحيطون به، ومع قلة الإضاءة:

- عارف القصر ده بتاع مين؟

وتأنى..

- ياض ياوسخ المفروض ترد وتقولي مين..

- أنا آسف يا جدو.. مين؟

قالها متصنعًا الإهتمام وهو يبتسم فأكمل الجد:

- يوسف معاطي.. يوسف مابيعرفش يكتب إلا ع القهوة من زمان.. علشان كده عامل جوه قهوة صغيرة كده وجايب شِيَشْ وقعدة حلوة الصراحة.. جتله كذا مرة هنا مع عادل إمام..

نظر (شادي) إلى جده وكأنه يتسائل هل هذه حكاية خيال علمي أخرى، ولكن ثبات ملامح جده بَخُرَت سؤاله. وأكمل الجد:

- بمناسبة عادل إمام.. افتكرت حكاية كده.. فاكر الرائد وصفي اللي كنت حكيتلك عليه؟

وهنا شعر (شادي) بأن الثعبان لا يلتف حوله ليخنقه وإنما ليتمسح به كأي حيوان أليف..

***

أكتوبر 73..

بعد بدء الإشتباكات بيومان أو ثلاثة تقريبًا..

لازالت الطائرات الإسرائيلية تمر من فوق رؤوسنا ورأيت بعيني طائرات تحمل شعار القوات الجوية الأمريكية..

كان (وصفي) ضمن كتيبة (م.ط) والخاصة بالسلاح المضاد للطائرات ضمن تأدية خدمته العسكرية ومهارته في استخدام المضاد الأرضي أوصلته لرتبة رائد في فترة قصيرة..

كان (وصفي) قد تخرج من معهد التمثيل قُبَيْلَ التحاقه بالخدمة.. كان يريد أن يكون ممثلًا.. ولكنه أيضًا كان محبًا للسينما ككل.. وكانت يرى أن

تصويب المضاد الأرضي يماثل عدسات السينما.. ولذا صار هذا العشق بينهما..

كان (وصفي) ضمن الغلالة، والتي كانت تطلق النيران على طائرات العدو التي تطير على ارتفاع منخفض بحيث ترتفع لأعلى، وتوكل أمرها للصواريخ عاشقة الطائرات المرتفعة..

كانت الطائرات تطير بتشكيل يسمح لأحدها في المقدمة بشغل مضاد أرضي حتى تأتي طائرة خلفها تضربه.. وضُرب (وصفي) وسقط في حفرة الإختباء وسقط المدفع عليه..

المعجزات تحدث.. لم يرحل (وصفي) ولكن رحل جزء ليس هَيِّنًا من وجهه.. ورغم العمليات العديدة التي تمت بوجهه والإستعاضة بأجزاء من الذراع.. إلا أن المشاعر رحلت من وجهه ورحل حلمه بالتمثيل..

ولكنه لم يتوقف هنا.. كتب وأخرج وأنتج.. وكان أول فيلم يعتبر من بطولة (عادل إمام) هو فيلم (عيب يا لولو يا لولو عيب) الّذي كتب (وصفي) السيناريو له.. هذا ما ذكرني أن أحكي لك حكاية (وصفي)..

كان (وصفي) دومًا يناقشني حول الماسونية العالمية الّتي كان يراها هي المتحكم الأول والأخير بالسينما، وكان يرى دومًا أن (يوسف شاهين) هو المثال الأبلغ ليد الماسونية في السينما المصرية.. وإلا لماذا تفشل أفلامه ومع ذلك يستمر المنتجين في دفع الأموال ليستمر إنتاجه.. قال لي وأنا أشرب الشاي معه في بلكونة منزله:

- يعني ولا أفلام بتجيب فلوس ولا هي أفلام حلوة أصلًا وبرضه شغال وتقولي الماسونية مش وراه.. بطل تغميض عنيك ده يا مراد..

وأخبرني وقتها أنه يتطلع لأن يبني شركة إنتاج تستطيع أن تنافس هوليود بل وتقضي على تلك المؤسسة الماسونية اللعينة.. حتى كان فيلم (الكلمة الأخيرة) أنتجه بكل أمواله بالإضافة إلى سلفة توزيع يعتمد في سدادها على العرض في الدول العربية.. وجاءت (كامب ديفيد) بما لا يشتهيه (وصفي درويش).. وقاطعت الدول العربية مصر وقاطعوا الفيلم بالطبع.. وخسر (وصفي) كل أمواله، ولم يكن ليجرؤ أحد على إخباره أن الماسونية العالمية ليست هي من وراء كل هذا.. ورغم الخسارة إلا أنه رفض أن يخرج أو يكتب أي فيلم بعد ذلك لكيلا يصبح أداة في يد الماسونية.. وكان (الكلمة الأخيرة) هو الكلمة الأخيرة في مشواره الفني..

في الحقيقة قاطعني (وصفي) عندما رآني في نشرة الأخبار ضمن الوفد الّذي سافر مع (السادات) إلى إسرائيل.. لم أستطع التوضيح ولم يكن ليقبل أي توضيح..

***

- ده حدوتة يا جدي..

- الله يمسيه بالخ.. الله يخربيت سنينك ما تحاسب يله!!

كانت إطارات السيارة قد عبرت فوق أحد الكمسرات جعلت ما يشربه الجد يتساقط على ملابسه..

- غرقتنا وخلاص.. ومِنِّين بالظبط على الحجر..

- معلش يا جدو أكيد مش قصدي يعني أخلي شكلك كأنك عاملها على روحك..

- وهعملها عليك كمان شوية يا عسل.. اركن على جنب أما أشوف هغسل الزفت ده ولا أعمل أيه؟

على جانب الطريق بجوار بعض الحواجز الخرسانية أعطت السيارة إشارة الإنتظار.. يمر بجوارهم كل ثانية ضوء عالي لسيارة مارة بسرعة..

ووقف الجد خارج السيارة ينثر بعض المياه من زجاجة (أكوافينا) على بنطاله.. وقال بضيق وهو يشد بنطاله وينظر داخله:

- ارتحت!! أهو العصير طلع دخل على جوه كمان..

فالها وهو يعبر بين الحواجز الخرسانية.. فقال (شادي) وهو يضحك:

- رايح فين استنى طيب؟ هتروح إسكندرية مشي ولا أيه؟

- مشي!! إنت جرعة التخلف كبرت عندك شوبتين.. خليك واقف شوية جايلك..

يختفي الجد خلف الفاصل، وأرجع (شادي) رأسه في الكرسي وهو يبتسم وهو لا يصدق أنه لازال في نفس اليوم.. ثبت قليلًا على هذا الوضع حتى ملأت تلك الأنوار المتباطئة من المرآة..

***

(9)

سيارة إنقاذ بدون أرقام.. لا علامة مميزة بها إلا أثر صدمة في الإكصدام وكلب يحرك رأسه يمنة ويسرى مع حركة السيارة.. وداخل السيارة كان هناك ثلاثة أشخاص وفرد وسنجة ونبوت.. لقد جاء ملوك الصحراوي الجدد..

يترل الثلاثة يتقدمهم زعيمهم صاحب الحزام ذو توكة الجمجمة يحمل الفرد في يده.. والأضواء من خلفه مع الآخرين منحوه هالة من الأسطورية..

يقترب من السيارة حتى يقف من أمامها.. يفرقع رقبته يمنة ويسرى تؤلمه قليلًا ولكنه يتماسك. ويقترب من (شادي) الذي انتبه إلى ما يحدث وبدأ يدير مفتاح السيارة.. ينظر إلى موضع جده السابق "أين هو؟" تساءل (شادي) في لحظة وفي اللحظة التالية كان الآخرين قد قاما بشبك الهيونداي بسيارة الإنقاذ.. واقترب الزعيم أكثر من (شادي) ليظهر وجهه الأشبه بتين شوكي لكن بحاجبين.. وأمسك المفتاح وهو يقول بصوت ممزوج بأمواس الحلاقة وأقراص الترامادول:

- أهو أنت كده بقى مش في البروفيشنال..

- أنا مش محتاج عربية.. هو في أيه بالظبط؟

- ده سؤال بورفيشنال.. محسوبك بَكُّورة.. وده هَشُومَة وده خَلُّودَة.. وعَلُّوقة مش موجود علشان في مصر بيعمل مصلحة بروفيشنال.. ولا مؤاخذة إحنا ملوك الصحراوي البروفيشنال..

كان العرق يخرج من (شادي) وكأنه فوطة تُعْصَر.. مع ارتجافة تشبه الفوطة بعد أن نُشِرَت.. كان (شادي) يتحور جينيًا لفوطة ماركة (غزل المحلة).. حين تابع (بَكُّورَة) :

- والعربية بتاعتنك مركونة في أرض زراعية وجالها قرار إزالة.. يعوض عليك ربنا تعويض بروفيشنال.. والقرار ممكن يتم بطريقتين طريقة سهلة وبسيطة وطريقة تنحة ما أحماش تكون من نصيب شخص بروفيشنال زيك..

وضرب (بَكُّورَة) بالفرد راحة يده مهددًا.. وكذا فعل (هَشُومَة) و(خَلُّودَة) بالنبوت والسنجة، وتسائل (بَكُّورَة) وهو يفرقع رقبته مرة أخرى لتؤلمه أكثر ولكنه تماسك أيضًا:

- قولت أيه يا بروفيشنال؟

هل ستتوقف إحدى السيارات المارة وتنقذني؟ هل ستذهب السيارة المؤجرة؟ ما الّذي سأقوله لحماده؟ كيف سأعوضه؟ مافهمته أن جدي يملك الكثير من النقود؟ لكن هل هو صادق في أيّ شيءٍ أصلًا؟ اللعنة.. أين هو؟

قطار الأسئلة يلعب سيارات متصادمة داخل جمجمة (شادي).. وبهدوء عبث (شادي) بأيّ شيءٍ بجواره يصلح كسلاح.. لقد أمسك شيئًا.. غالبًا

عبوة بيبسي.. هل يقوم برجمها بسرعة ثم يفتحها في وجه (بكورة)، وقبل أن يفهم (بكورة) ما يحدث يفتح باب السيارة ويدفعه بقدمه بكل قوة ليصطدم به ثم يسيطر على الفرد والأمور.. من الممكن الإستغناء عن رج العبوة بإلقاءها مباشرة في الوجه.. من الممكن بل في الغالب أن (شادي) لن يفعل أيّ شيءٍ من هذا..

ودون سابق إنذار انطلقت سيارة الإنقاذ ساحبة الهيونداي بسرعة وبمناورة.. جعلت الهيونداي لا تتأذى إلا بكسر الزجاج الأمامي بنبوت (هَشُومَة) وخدش على طولها بسنجة (خَلُّودَة) أطلق الشرار.. ووقف بَكُّورَة وسط الغبار يضغط الزناد عدة مرات.. لكن الفَرد لم يستجب إلا لطلقة واحدة ثم امتنع.. فصرخ وهو يلقي الفَرد بعصبية:

- كده مش بروفيشنال..

***

خلع الجد البنطال المشدود بالمطاط الخاص بالدار.. وبدأ يضع بعض المياه من الزجاج ليغسل فخذيه ومساتله من أثر العصير حين رأى سيارة الإنقاذ، واستوعب كل ما يحدث وبهدوء انطلق ناحية مقدمة السيارة التي لازالت تدور ودلف إلى داخلها ثم انطلق..

مَرّ بعض الوقت حتى أطمأن أنهم هربوا بالفعل.. ثم أَطَلّ من الشباك ناظرًا للخلف ليطمئن (شادي)، وبعد عدة كيلوات بدأت السيارة تقف تدريجيًا..

الظلام حالك ولا يوجد إلا بعض مُعِدَّات الإنشاءات هندسية.. ونزل الجد من السيارة وكذلك فعل (شادي) رغم خوفه قبل قليل ورغم أنه لايزال لا يعي كيف خرج من الموقف السابق.. ما أن رأى الجد حتى سقط ضحكًا..

- بتضحك يا وسخ!! تصدق أنا غلطان إني ما سيبتكش لهم كنت خلصت منك يا أخي.. بس 5 دقايق وكانوا هيرموك وكنت هتجيلي تاني.. شغلانة وسخة..

كان (شادي) لم يكف عن الضحك اقترب من الجد يحتضنه ويحاول أن يقبله:

- حبيبي يا جدو والله..

دفعه الجد رافضًا حضنه.. وهو يقول:

- حبيبك أيه ونيلة أيه؟! أديني بسببك أهو من غير بنطلون وبكلوت مبلول..

قال شادي من بين ضحكاته:

- حقك عليا.. بس تصدق كده أشيك من لبس الدار اللي كنت لابسه..

- تصدق شكلي أنا اللي هلبسهولك.. المهم العربية دي لازم نخلص منها يا إما هنلاقيهم ورانا بيها تاني..

كانت نية الجد الأكبر أن يلقن تلك العصابة درسًا..

فكر قليلًا ثم قال لـ(شادي) وهو يشير له بالإسراع:

- معاك ولاعة؟

هز (شادي) رأسه نافيًا:

- أنا مبدخنش أصلًا يا جدو..

فأكمل الجد:

- طب سخن ولاعة العربية وهاتها وهات منديل بسرعة..

عندما جاء (شادي) بولاعة السيارة كان الجد قد خلع فانلته الداخلية وأصبح بقميص ذو أزرار مفتوحة مع اللباس الداخلي أصبح كزير نساء فاجنته الشرطة في مقر عمله.. تماسك (شادي) عن الضحك وناول الجد الولاعة والمنديل.. وتمتم الجد:

- لو السجاير ما كانتش استهبلت مع صدري.. مش كان زمانا خلصنا..

خلال التمتمة السابقة كان الجد أشعل النار في المنديل.. ثم قام بوضعه على الفانلة التي أصبحت تتدلى من فتحة البنزين.. وركبوا الهيوندداي:

- بس دول خدوا مني المفاتيح..

- علشان كده جبت المفك ده من عربيتهم..

وضرب الجد المفك في أسفل المقود.. حتى ظهرت بعض الأسلاك أوصل منهم ما أشعل غرفة المحرك مرة أخرى.. وانطلقت السيارة مقتربة من بوابة الدخول إلى الإسكندرية.. والنيران تتوجه إلى داخل تانك البنزين، وسطع انفجار لحظي في مِرْآةِ سيارتهم.. وقامت السيارات المارة بالتباطؤ لتشاهد الحريق..

***

(10)

الإسكندرية..

مرحلة ما قبل دخول الصيف..

إنها الشابة المَرِحَة الجميلة التي تَبُثُّ السعادة في النفوس.. هذا رداؤها رداء عُرس.. أما حقيقتها فإنها عجوز حزينة لا تكف عن الأنين.. إنها أم قوية تبدي عكس ما تكمن لكيلا تنقل همها دون قصد لأبنائها أو ضيوفها..

الأشخاص في الإسكندرية يشهون أمواج بحرها.. لا يكفون عن الإرتطام بالحواجز، لا يكفون عن الذبول على الشواطئ بعد الوصول ولكن أيضًا لا يكفون عن الحركة وتكرار الكَرّة..

وشوارع الإسكندرية دائمًا على وضع الـ(فاست موشن).. ينتهي العرض فتتوقف ويبدأ عرض جديد فتسرع..

وفي إحدى الشوارع كانت تلك السيارة ذات الزجاج ذو ضربة محاطة بالشروخ.. ومصباح أيمن مكسور.. وربما موضع طلق ناري.. بداخلها شاب وعجوز بدون بنطال وفانلة..

- دلوقتي اتصرف بالفلوس اللي معاك وهاتلي هدوم بدل ما أنا شبه السيرك كده.. والصبح أنا متصرف من البنك علشان الفيزا راحت في البنطلون..

ودخل (شادي) لإحدى المحلات أشترى ملابس شبابية وعاد بها إلى السيارة وناولها للجد.. قلب الجد فيها..

- بقولك شبه السيرك فقررت تخليني بهلوان! جايبلي بارمودا وتيشيرت يا وسخ؟

- والله يا جدو اللي لقيته واللي على قد الفلوس الموجودة..

- ميتين أبو الفلوس.. طيب المهم يلا بينا.. هاكلك في المكان اللي كنت باكل فيه أنا ونجيب لما كنت بقابله هنا في الصيف..

- نجيب مين؟

- نجيب محفوظ..

لم يُبْدِ (شادي) تعجبه هذه المرة لقد قرر الكَفَّ عن التعجب ولكن لم يقرر الكَفَّ عن السؤال:

- طب والفلوس؟

- ما قولتلك ميتين أبو الفلوس..

***

على منضدة بقرية (بلبع) تراصت الرِنَش وأزواج الحمام تُزَاحِمُهَا الفتة وورق اللحمة، وعلى رأسها جلس (شادي) وجده.. أخرج الجد من جيبه علبة سجائر (مارلبورو) كان قد استلها من الأرض أثناء دخولهما.. انتبه لها (شادي):

- أيه ده يا جدو؟؟ مش أنت المفروض مبطل؟

- ما لكش دعوة يا عم مجدي يعقوب..

وانثنى الجد ليضغط على قدمه التي يزحف عليها الألم ويكسب أرضًا جديدة فيها كل لحظة.. فسأله (شادي):

- مالك؟

- رجلي بتستهبل.. أو أنا اللي بستهبل الحقيقة.. السواقة والشلوت بتاع حسين موتوها إكلينيكيًا.. وهي أصلًا صاحبة مرض من يوم ما وقعت من الشباك..

ووجدها (شادي) فرصة لسؤال متأخر:

- هو أنت وقعت ولا كنت بتحاول تنتحر؟!

- أنتحر!! هو أنت لسه معرفتش جدك يله.. الإنتحار ده بتاع الناس اللي مبقتش قادرة تقاوم أو معندهاش حاجة تقاوم عشانها، وأنا مبعرفش أعمل حاجة إلا إني أقاوم، وبعدين فكرك إن أنت أقنعت الدكتور بشوية الهبل اللي أنت عملتهم دول.. أنا رجلي فعلًا متدمرة وخصوصًا إني كنت بنط من على سور الدار مرتين في كل يوم تقريبًا..

- طب إزاي عرفت تضرب الطور الهايج ده؟

- أديك قولت طور هايج.. أنا مش جاكي شان يعني.. بس لو فهمت الطور الهايج وإزاي تخلي اندفاعه يبقى ضده تبقى كسبت تلتين المعركة من قبل

ما تبدأ.. وده اللي بيعمله بتوع مصارعة الثيران ..المهم خلينا نخلص الأكل ده علشان نشوف اللي جايين نعمله هنا..

- اللي هو أيه؟

- ما قولتلك بعد الأكل..

رحلة من لذة الطعام تخللتها استراحات قصيرة من الشوربة حتى وصلت لمحطة التخمة بعد نصف ساعة.. كان المكان والطعام يعيدا للجد عددًا من الذكريات، وأعاد (شادي) ظهره في كرسيه يتأمل سقف المكان بأعين غشيها الأكل.. أخرجه الجد من هذه الحالة:

- وله يا شادي.. موبايلك ليه جراب؟

- آه ليه؟

- أصل في ناس متكلمين عليه فبسألك عليه.. أخلص وفكلي الجراب.. وأعمل نفسك بتتكلم في الموبايل وأنت بتمضغ.. كأن جالك مكالمة مهمة وأنت بتاكل.. وأخرج بره المطعم.. دور العربية وأستناني قبل ما تطلع الشارع وشغل الإنتظار..

- هتعمل إيه؟

- هناخد سلفة من (بلبع) لحد بكرة..

نَفَّذَ (شادي) ما طلبه جده.. أما الجد فأخرج مفاتيح سيارة الإنقاذ التي أحتفظ بها ووضعها بجوار علبة الـ(مارلبورو) ليجاوروا جراب الموبايل المقلوب.. وتوجه للحمام وهو يمسح يده بمنديل.. فأوقفه أحد العاملين:

- أيه رأي حضرتك في الأكل يافندم؟

- يابني السؤال ده تسأله للزباين.. أنا في المطعم ده من قبلك..

ابتسم العامل من الرد المباغت ورد مُجَامِلًا:

- منورنا والله يا فندم..

وفي الحمام وبعد أن غسل يده.. توجه الجد إلى دورة المياه ليتسلل من الشباك وقفز على قدمه ليزداد ألمها لتفتح فمه ليطلق صرخة كتمها.. ورغم تأخره إلا أن الحاجيات على المنضدة طمأنت العامل..

أما (شادي) فكان في السيارة منتظرًا.. ولم يجد ما يفعله إلا أن وضع الشاحن في موبايله والّذي اكتشف أن بطاريته قد نفذت فيما يبدو من فترة طويلة..

حتى جاء الجد وهو يعرج بشدة فتح باب السيارة فلم يفتح وبدى أنه تلف إثر صدمة السنجة.. فتح (شادي) المقبض وهو يعاجله:

- إتأخرت ليه؟

- مفيش.. كنت بقنعهم بموضوع السلفة..

***

في الطريق إلى (كفر عبده) بناءًا على توجهات الجد..

كان الإرهاق يزحف على الإثنين ليتملك منهما .. كما يزحف الفجر على السماء.. تثائب (شادي) قبل أن يقول:

- آه صحيح يا جدو.. أنا لقيت الموبايل فاصل.. سيبته يشحن بس لمسه ما فتحتوش إلا لما تكون معايا.. علشان أكيد أبويا هيفشخني.. أنا قولت أسيبك إنت تكلمه..

- مش هكلمه.. إنت توصلني وترجعله على طول وقوله أيّ حاجة من بتوعكم.. بذاكر عند واحد صاحبي.. أم صاحبي كانت بتولد أي حاجة..

- ثواني أيه أروحله دي!! أنت مش راجع معايا؟

- لأ مش راجع.. بص يا شادي بصراحة أنا استغليتك علشان تجيبني إسكندرية.. وبعد ما جيت ما بقاش عندي إستعداد أرجع.. أنا فكرت كتير أجي لوحدي وكان قرار مأجله لحد ما إنت جيت..

- إستغليتني!! والأحلام والنبوءة ده كله كلام..

- آه إعتبره كلام.. بص يا شادي لما بتكبر بتعرف إن في حاجتين لما يروحوا ميرجعوش.. سنانك وأحلامك.. فبلا أحلام ولا نيلة كل ده ملوش لازمة، أنا أصلًا مش فاكرها.. وأنا كده فل.. أنا قولتلك مش عايز منك حاجة غير إنك توصلني هي دي الحاجة اللي عايز أعملها قبل ما أموت.. وبالنسبة للعربية أنا هبعتلك فلوس تصلح العربية وزيادة بكرة بعده بالكتير.. كلم صاحبك وقوله إنك هتأجر العربية لآخر الأسبوع.. قفل بقى كلام في موضوع الأحلام ده..

- يا جدو بس أ..

- بس إنت..

ضرب (شادي) على المقود بعصبية وصَمَت..

(11)

فيلا أباظة..

كفر عبده بحي شرق..

أخذ الجد حافظته التي كانت في التابلوه.. ثم قال لـ(شادي) وهو يترل من السيارة:

- أنت لو طلعت دلوقت هتوصل قبل ما أبوك يترل شغله.. وبالنسبة ليا إنت ما أخدتنيش من الدار زرتني ومشيت، ومش هيلاقوا نسخة تصريح الخروج في الدار ما تقلقش..

كان يبدو أن الجد خطط لتسير الأمور بهذه الطريقة من البداية.. هز (شادي) رأسه ذات الفم الربع مفتوح متصنعًا أن يتفهم الأمر، ورحل حانقًا..

يضغط الجد جرس الباب.. لينطلق الصوت في أرجاء الفيلا.. امتدت يد أنثوية من تحت الغطاء الخفيف تطرق على كتف الرجل النائم جوارها..

- فاروق.. يا فاروق الجرس يرن..

- أممم.. ما زينب هـ أممم تفتح..

- زينب لسه ما جتش الساعة ما جتش 7 قوم يا فاروق..

يجلس (فاروق) على السرير بأعين مغمضة:

- الله يحرق فاروق يا شيخة..

يرتدي (فاروق) الروب على عَجَل وهو يترل على السلم مع استمرار تردد الجرس وفَكَّرَ هل من الممكن أن تكون الشرطة قد جاءت لتقبض عليه، وسيقول له الضابط "إتفضل معانا من غير شوشرة" وتقف زوجته بالأعلى بقميص النوم تصرخ ويخرج أولاده على صرخاتها.. و.. تبًا للأفلام العربي..

يقف (فاروق) خلف الباب.. يخرج نفسًا من أنفه ثم يسأل:

- مين؟

- أنا اللي المفروض أسألك إنت مين؟

- .....

- إنت سيد ولا فاروق ولا عادل؟

لابد أن هذا شخص من العائلة.. هكذا فكر (فاروق) حين أكمل الصوت من خلف الباب:

- إنت هتسيبني كتير ع الباب! وبعدين أنا مش جايلك أصلًا ولا عايز أتكلم معاك أنا جاي لكاريمان قولها مروان..

اقشعر جسد (فاروق) للحظة عندما سمع اسم والدته، ودفع اسم (مروان) يده ليفتح الباب وهو يقول:

- أستاذ مروان!

انفتح الباب وأصبحا متقابلين، وأكمل (فاروق) والأسى بدأ يحفر في صوته:

- إنت في حاجة بتاعتك عندنا ماما كانت سيهالك..

- كانت! هو إنتوا رميتوها في دار مسنين تاني..

الأسى يحفر أكثر في صوت (فاروق):

- ماما الله يرحمها من 3 شهور..

يدخل صوت أنثوي من أعلى ليقطع أحداث:

- مين يا فاروق؟

- خشي إنتي يا دولت دلوقتي.. خشي نامي..

أما الجد فلم يستطع أن يجعل قدمه تتماسك أكثر من ذلك، وسقط أرضًا..

***

يضغط (شادي) الفرامل بكل قوة، ويلتف بالسيارة عائدًا للفيلا..

كان التفكير يأكل رأسه.. هل ستتنازل عن موضوع الأحلام هكذا بكل بساطة؟ هل ستتنازل عن الهدف بعد أن وجدته؟ صاحب الأمر أصلًا غير

مهتم.. ولكن صاحب الأمر أيضًا هو من قال أنك صرت جزءًا من هذا؟ ومن باب الفضول ماذا يفعل جدك في هذه الفيلا؟

وضغط على البنزين أكثر.. حتى توقف على الجانب الآخر للفيلا في جانب غير مرئي.. يراقب جده حتى فتح الباب ودارت محادثة بسيطة وحتى سقط الجد، وانطلق (شادي) بسرعة نحوه وهو يصيح بانفعال:

- جدو!!

لم تعد رؤية الجد واضحة.. كل ما يراه هو وجه (كاريمان) في كل مكان في أعمار مختلفة.. بشعرها الأحمر وشعرها الأبيض.. بابتسامتها ذات الأسنان البيضاء وابتسامتها ذات الفم المغلق لكيلا تظهر أسنانها.. كان وجهها في كل مكان.. على كل الأجساد كان وجهها.. في كل الزخارف برز وجهها..

أما (شادي) فقد عرف من (فاروق) ما حدث، وكان (شادي) يعلم اسم (كاريمان) من أستاذة (هالة)، وتجمعت الخيوط لدى (شادي).. رغم غرائبية جده إلا أنه كان مجرد عاشق يسعى لمقابلة حبيبته.. وأعطاه (فاروق) صندوق صغير يخص الجد..

الجد الذي عاد لحالة صمته السابقة.. لا يتكلم ولا يشير ولا يُمانع ولا يهتم.. أخذه (شادي) للسيارة وحاول أن يجذبه لأطراف أيّ حِوَار..

- هترجع معايا طيب؟ طب عايزني أوديك فين؟ طب تحب أفتحلك الصندوق؟ طب شاور أي حاجة طيب..

لا يتكلم ولا يشير ولا يمانع ولا يهتم..

- طيب بقولك أيه تحب نطلع ع البحر؟ هِزّ دماغك طيب..

لا يتكلم ولا يشير ولا يمانع ولا يهتم..

بدأت السماء في سكب زرقتها على مياه البحر.. لوحة من الأبيض والأزرق وانعكاسها.. قال شادي:

- منظر البحر فشيخ يا جدو..

....-

- طيب.. أنا هسيبك لوحدك شوية تفكر إنت عايزنا نعمل أيه دلوقت..

نزل شادي من السيارة.. وجلس على الكورنيش.. يراقب الأمواج التي تذبل على الشاطئ مرة تلو الأخرى ثم يسرح في الأفق إلى نقطة التقاء زرقة السماء والبحر.. لم يعده من سرحه إلى أن وجد يدًا تربت على كتفه مع صوت جده:

- ولّه يا شادي.. هو إنت لسه عايز تحققلي أحلامي؟

***

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

أواخر الستينات تقريبًا..

بعد رحلة سير من المنشية لم نشعر بوقتها كالعادة.. كنت أجلس أنا وهي على السور المُطِلّ على البحر في يد كلًا منا واحدة من الآيس كريم رغم برودة الجو..كانت الأمواج تصطدم بالحواجز ذات الحلقات المعدنية الصدئة.. فتنثر رذاذها علينا فاقتربنا أكثر ورائحة اليود تموج في أنوفنا، وفي الخلفية كانت تطل علينا قلعة قايتباي القادمة من عصور المماليك البحرية..

- توعدني ترجع؟

- أوعدك.. السنة الجاية بالكتير.. النهاردة 12/20.. 12/20 الجاي هكون هنا.. متأخر..

- أنا جيبت القفل ده علشان نقفله على صخرة من اللي هنا.. وده معناه إن احنا هنفضل مع بعض..

- ده معناه إنك بتستهبلي يا كاريمان..

أعطتني لكمة خفيفة على صدري، وهي تقول:

- بطل تتريق على أي فكرة بقولها..

ابتسمت وأنا أنظر لها.. وضعت القفل أمام وجهي.. فتناولته وقمت بما أرادت.. وأكملت هي باقي التعليمات..

- دلوقتي بقى هنرمي المفتاح في المياه علشان محدش يقدر يفتحه..

- وعشان السمك يشهد علينا كمان..

- قولتلك بَطَّل..

اقتربت مني أكثر ونحن نسير.. فاحتضنتها نتبادل حرارة جسدينا.. فرفعت رأسها لأعلى تنظر إليّ:

- هنرجع؟

لم أكن أريد أن أنطقها ولكن استمرار نظرها إليّ جعلني أقول بشبه ثقة:

- السنة الجاية..

كانت مصر في هذا الوقت قد دخلت مرحلة جديدة في حرب الإستنزاف.. وكنت مكلفًا بمهمة غير محددة المدة.. كنت متورطًا في أمور أخرى وأخشى أن تتورط معي.. كنت.. كنت كاذبًا، وأخيرتني هي فيما بعد رغم أنها استشعرت كذبي إلا أن هذا لم يمنعها أن تأتي لنفس المكان في كل 12/20.. حتى بعدما شاع خبر فقداني في الحرب ضمن خطة مخابراتية ربما أحكيها لك فيما بعد..

تأتي وحيدة وترحل وحيدة.. حتى بعد أن تزوجت (مسعد أباظة) الّذي يكبرها بعشر سنوات على الأقل بضغط من الأهل.. هل تهرب؟ ولكن لأين؟ ولماذا؟

تأتي وحيدة.. بعد أن بدأت في التعافي من ولادة متعثرة أضافت للبشرية ثلاثة ذكور.. لتمنح (مسعد أباظة) فرحة جعلته يكتب لها الفيلا بإسمها.. ويكتب للأولاد أسماء على أسماء أباطرة عائلته الأولون اللذين أورثوا العائلة مفاتيح امبراطوريات السيراميك..

كما حكت.. كانت تستشعر كذبي ولذا لم تلقي كل المفاتيح.. أبقت واحدًا فتحت به القفل الخشن بصعوبة بعد أن كادت تزلق عدة مرات.. وألقتهم في البحر.. هل كان رذاذ البحر على وجهها أم الدموع هي لم تعرف.. ورحلت وحيدة..

وحينما أتيت متأخرًا بعشرات السنوات لم أجد القفل.. ربما هذه ليست نفس الصخور حتى..

***

- ما رمتش كل المفاتيح.. كانت صابعة برضه الله يرحمها..

يقولها الجد وهو يمسح جانب عينه الداخلي بطرف إصبعه الأصغر.. وفتح الصندوق و(شادي) يراقبه، وكان بداخل الصندوق قفل صَدِئ يبدو أنه تعايش لفترة مع ملح البحر، وبداخله مفتاح انتقل إليه بعض الصدأ.. وبطة مطاطية صفراء.. يمسح الجد كلتا عينيه بإصبعيه ليخلفا أعينًا حمراء..

***

عدت لنفس المكان عدة مرات في نفس التاريخ.. ولكن دعنا نترك زمان ومكان عودتي ولنذهب إلى زمان ومكان آخر..

سنة 1992.. أعلم أنها سنة مولدك، ولكن الأمر لا يخصك الكون لا يدور حولك.. في سنة 92.. في ليلة عاصفة سقطت حاوية من سفينة في المحيط الهادئ.. كانت الحاوية تحتوي على 29000 لعبة بلاستيكية.. أغلبها بطات مطاطية صفراء..

بطات تسبح حول العالم.. تزور كل البلدان.. واستغلها العلماء لدراسة التيارات البحرية وأشياء من هذا الهراء..

في إحدى المرات عندما عدت لنفس المكان أنظر إلى موضع القفل غير الموجود.. وجدت تلك البطة والّتي يبدو أنها تركت زملائها وقدمت في رحلة منفردة تصعد وتهبط بجوار الصخور..هذه الصغيرة قدمت في رحلة استغرقت منها أكثر من 15 عام.. تركت الجمع وجاءت منفردة إلى المكان التي ترتضيه لم تهتم وترتضى بالحلول السهلة القريبة كما فعلت صديقاتها وتوجهن إلى إستراليا وأمريكا الجنوبية..

هل أرضى بالحلول السهلة القريبة وأرحل كما يأخذني التيار؟

ورغم أنني كنت أعيش بهوية جديدة نهائية.. هوية كان من المفترض أن تنقطع عن كل تاريخها السابق، ولكنني أخذت كل شيء للطريق الصعب، سأذهب إلى (كاريمان)، وطُفْتُ أبحث عنها حتى علمت بأمر زوجها وأولادها الثلاثة اللذين قرروا أن يودعوها في إحدى دور المسنين في القاهرة بعد وفاة والدهم.. حيث يقطن اثنان من الثلاثة لتكون أقرب لهم وقت الزيارة التي لم تتكرر كثيرًا..

وبعد بحث مع تليفون لأحد من يأتون بالإجابة دومًا علمت مكانها.. وكان لقاءًا بَتُّ برودة الإسكندرية في أطرافنا.. ضربتني في صدري بخفة وهي تقول بابتسامتها الّتي أظهرت أسنانها رغمًا:

- ما لمسه بدري..

كنت فارس الرواية الّذي أتى لسنووايت بعد كلمة النهاية.. وقرر ألا يترك الجزء الأبيض الباقي في الصفحة بعد كلمة النهاية.. سأبقى هنا..

مكاني هنا..

***

- مكاني هنا يا شادي يا وسخ يالي بتتاوب..

كَفَّ (شادي) عن تثاؤبه.. وهو يحاول مُحَسِّنًا صورته:

- معلش يا جدو.. أنا كده معدي 24 ساعة صاحي..

- لوحدك يعني ما أنا متنيل معاك.. طيب.. ننام ساعتين في العربية وبعدين نطلع على المقابر عايز أدفن الحاجات دي جنب قبرها.. الحاجات دي ماتت معاها..

- مع مين يا جدو؟

- مع أمي يا شادي.. نام يله.. نام..

يصمت الجد لفترة يتأمل سقف السيارة بعد أن أرجعا كرسياها للخلف.. ثم يستطرد:

- هو صحيح إنت رجعت ليه بعد ما مشيت؟

- ما أنا قايلك يا جدو.. ما معايش فلوس.. والبنزين ما يكملش لحد ما أوصل..

- آه يا وسخ..

***

ساحر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

يكنس عامل النظافة الشارع بدون ضمير حتى يصل لتلك السيارة المتوقفة.. ذهب إلى الشباك وطرق لكي يطلب أيّ إحسان.. ثم توقف ينظر متفحصًا إلى تلك السيارة التي تحوي شخصان مستلقيان أحدهما عجوز ذو ملابس شبابية.. ضَيَّقَ عامل النظافة عيناه ظانًا أن هذا قد يمنحه روح المحقق (كونان) التَفَّ حول السيارة فَكَّرَ هل هما شواذ والعياذ بالله؟ ما غير ذلك قد يجمع هذا الشاب والعجوز المتصابي؟ ولكن السؤال من منهم الّذي يركب الآخر؟ ولماذا الزجاج الأمامي وفانوس الأيمن مكسوران؟ هل هذا موضع طلق ناري؟ هل سرقا السيارة؟ أم صدما بها شخص ما.. هل هم قتلة؟ أم أنهم هم قتلة شواذ؟

بهذه الخيالات ابتعد عامل النظافة عن تلك السيارة مسرعًا ثم عاد إلى العمل الّذي لا يجيده..

الجد استيقظ من الطرقة ونظر لصاحبها بنصف عين حتى رحل.. ثم خرج خارج السيارة يَشُمُّ بعض الهواء وعندما عاد كان باب السيارة الذي أُغْلِقَ لا يفتح.. جذب المقبض عدة مرات لا يستجيب وتذكر أن هذا الباب لم يعد يفتح من الخارج.. ربما هذا بسبب إحدى ضربات من أرادوا سرقة السيارة.. ربما.. لا يهم الآن.. يطرق على الزجاج على الباب على سقفها ينادي على (شادي) .. وكان رد فعل (شادي) الوحيد أن أكل طعام النوم..

***

الجد وحيدًا خارج السيارة.. يستكمل تفكيره.. كانت تراوده فكرة الترك.. أن يترك (شادي) هنا ويرحل هو للامكان.. الترك هو أفضل ما كان يفعله.. حصل على دكتوراة في تخصص الترك والرحيل.. أم أن هذه المرة مختلفة.. وهو من يجب عليه التمسك.. الحياة تتفلت من جسده هو يشعر بهذا ولم يبقى له أيّ شيء إلا أحلام قد أتت من الماضي..

هل سيتركها هي الأخرى ويرحل؟

***

يقبض بيده على ذلك الحجر، ويتوجه نحو السيارة ويضرب به السقف ليصدر فرقعة أيقظت (شادي) أخيرًا الّذي أدار عينه في السيارة واحتاج للحظات ليفهم أين هو ولِمَ؟ ولكن لم يفهم لماذا جده في خارج السيارة يشير له؟ فتح الباب فقال الجد وهو يدخل السيارة بنوع من العصبية:

- يا وسخ احنا قولنا ساعتين مش يومين!!

- أنا نمت يومين؟

- أكيد مش هفضل يومين واقف في الشارع.. هما 4 ساعات.. بس لو ما اتحركناش دلوقتي مش هنلحق البنك.. والعربية متفصل بنزين ولسه عايزين نروح المقابر.. ومحتاج كمان أي حاجة لرجلي.. ومش هقعد طول اليوم هشرحلك هنعمل أيه! أطلع بينا الأول على أي فرع لبنك..

فكر قليلًا ويده تحسب حسبة وهمية.. وأكمل:

- البنك الأهلي.. بسرعة..

***

مدافن العمود..

بعد ساعتين كان الجد يخرج من بين عدة قبور إلى شارع في المنتصف بين الأحواش (شادي).. مشية الجد بقدمه التي وضع عليها مُسَكِّن وتم ربطها.. والإنحناءة المتكئة على عكاز اشتروه من الصيدلية.. مع بالطو خفيف أراده.. وفي الخلفية يُطِلُّ عمود السواري ويتناثر الغبار الأصفر.. كلها أمور جعلت (شادي) يرى جده كأنه المُعَلِّم (رشدان).. لم يبقى إلا أن تظهر سلاحف النينجا في الخلفية. ولكن من ظهر كان حارس المقابر ذو الزيّ الصعيدي.. تحدث مع الجد ووضح أنه كان يطلب من الجد أي أموال لروح الأموات.. وإن كان ظَهْرُ الجد يخفي ما يدور إلا أن (شادي) رأى الجد، وهو يخرج ورقة مالية من جيب البالطو وناولها للحارس.. ثم أكمل طريقه للسيارة.. ساعده (شادي) ليدخل وسأله:

- رجلك عاملة أيه دلوقت؟

الجد لم يكن يريد الإنخراط في أي حديث الآن.. فرد على مضض:

- الحمد لله.. زي الزفت..

نظر له (شادي) ببعض الصدمة من الإجابة.. فأكمل الجد:

- أكيد يعني ماخفتش بشوية إسبراي وضاغط.. مش فيلم عربي هو هاخد الدوا من هنا وتقولي "عامل أيه دلوقت؟" هقولك "أحسن" والدوا لسه ما وصلش المعدة أصلًا..

يغلق (شادي) الموضوع:

- أنا آسف خلاص.. طيب حطيت الحاجة؟

قال باستهزاء:

- لا يا شادي كنت جاي أتملى في جمال المقابر بس.. أصل ده كيف عندي..

ثم أكمل بجدية تشوبها العصبية:

- زيارة المقابر دي حاجة ملهاش معنى.. شوية طوب مكتوب عليهم إسم.. كل وظيفتهم إنهم يفكرونا إن كان في حد موجود في حياتنا ما بقاش موجود ولا هنقابله تاني.. شوية طوب بيوقفوا طريق حياة الناس اللي كانوا حوالين اللي مات.. الوقفة مش طويلة دايمًا.. بس في ناس يستاهلوا نقف عندهم للنهاية وأنا معنديش دلوقت حتى وقت للوقفة.. الميت بقى نفسه مش حاسس بأي حاجة هو تقريبًا بيبقى أكتر واحد مبسوط في المناسبة دي.. ده غير إن الموت بيخليه يحلو كمان..

- إهدى يا جدو.. أنا أول مرة أشوفك عصبي كده.. للدرجادي كنت بتحبها؟

ضحك الجد ضحكة قصيرة وهو ينظر من الشباك جانبه.. وقال وقد بدأ يهدأ:

- مفيش حاجة اسمها حب.. في تفاهم وممكن تعود.. اللي بيفهمك من غير ما تتكلم.. اللي بيسمعك لما تتكلم.. اللي بيسكت لما تكون مش عايز تسمع.. اللي بيكمل كل حاجة ناقصة فيك.. نص البازل اللي ناقص منك.. النص ده في منه كتير في الدنيا.. بس مش سهل تخلق الظروف تاني اللي تخليك

تلاقيه.. واللي تخليك تتأكد أنك فعلًا لقيته.. وأنا لقيت كاريمان كتير.. كاريمان كانت إجابة واضحة..

- طب عايزنا نطلع على فين دلوقت يا حاج أسامة منير؟

- خلينا نروح نسد اللي علينا يا حاج لطافة..

***

يخرج الجد من بوابة (بلبع) بعد أن دفع فاتورة أمس.. أخبر العامل أنه حدث سوء تفاهم وأنهم وردهم اتصال يحمل خبر حالة وفاة مما جعلهم ينصرفون بسرعة وكُلًا منهما ظَنَّ أن الأخر قد دفع.. وتنفس العامل الصُعَدَاء بعد أن أَعَدَّ نفسه لخصم الفاتورة من راتبه، ومنحه الجد 100 جنيه في جانب بعيد كاعتذار..

وعندما خرج الجد كان (شادي) قد انتهى من عد رزمة النقود التي أعطاها له الجد بعد أن خرج من البنك، وانشغل بالتقليب في ورقة الأحلام.. فتح (شادي) لجده الباب ونظره لازال معلقًا بالورقة وقال:

- معلش يا جدو أعذرني يعني.. أحلامك فيها شوية حاجات حاسسها مش راكبة على بعض وحاجات تافهة..

- أنا مش فاكر منهم كتير أصلًا.. بس أنت كنت متوقع أيه يعني؟

- هو بصراحة اللي مكنتش متوقعه إني ألاقي مكتوب.. بحلم أخلص أقساط العربية.. يعني حتى يا جدو مفيش أي لمحة فلسفة كده في الحلم..

- معلش المرة الجاية هبقى أكلم سقراط يبجي يكتبلي أحلامي.. المهم هنعمل أيه دلوقتي..

- ما احنا متفقين يا جدو.. هنحقق الأحلام..

- بس شوفلنا مكان ناكل فيه الأول.. ومكان تشتري منه قلم علشان تشطب ع الحلم ده لإني حققته فعلًا..

~~"بحلم أنتهي من أقساط السيارة بدون مشاكل"~~

***

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

اليوم العالمي لتنفيذ الأحلام..

بعد أن قاما بمسح أواني الألمونيوم التي يصنع فيها مطعم (ألبان سويسرا) أطباقه ويُقَدِّمُهَا كما هي.. كان الجد يلوك اللقمة الأخيرة التي يختلط فيها قطع السجق الإسكندراني بالجبنة السويسري السائلة.. لاكها ببطء وهو يستشعر ذرات الجبنة وهي تتخلل أنحاء جسده.. أما (شادي) فقد أنفلتت منه أنَّة كأنه يمارس الجنس مع الطعام..

حمل الطعام الجد إلى جَنَّة بيضاء على حوافها شلالات الجبنة السويسري الدافئة.. التي شَقَّت الجنة لتصنع أنهارًا.. والجد يُبْحِرُ في أحد الأنهار وهو مستلقي على قطعة من السجق الإسكندراني.. يقلب وجهه للناحية الأخرى ليجد حبيبته و..

- روحت فين يا جدو؟

أخرج صوت (شادي) جده من الجنة.. فنظر له الجد غير فاهمًا فتابع (شادي):

- أيه رأيك في الأكل؟

- مش عارف..

- أيه ما عجبكش؟

- لأ مش عارف السجق أحلى ولا الجبنة المشكلة.. في حاجة غلط..

وقبل أن يكمل كلامه كان العامل بالمطعم الصغير.. يرفع الأطباق الفارغة ويضع طبقين احتويا على كوارك طبيعية.. تختلط فيها نيازك القشطة ببراكين مربى الفراولة وانهيارات العسل الأسود بتسونامي النوتيلا.. كان الجد يستعد لأخذ خطوة للفردوس.. حين أكمل (شادي) المحادثة:

- طيب نقدر نقول أنك ما جربتش حاجة شبه الأكل ده قبل كده؟

- ممكن نقول أي حاجة يا وسخ لو سكتت أنت وسيبتنا نشوف الطبق ده بيقول أيه..

وقطع الجد قطعة من الرغيف مررها على كل ما يحويه الطبق كأنها ترقص الباليه الماني لتكون مفتاحه لجنة أخرى.. وفي نفس الوقت كان يخرج شادي القلم ويخط خطه الأول داخله فوق إحدى المسطور..

~~"بطلع بتجربة شيء مختلف"~~

***

- بتركن ليه؟

- علشان هنزل النفق ونعدي الناحية التانية.. هنمشي من هنا لغاية القلعة يا جدو..

- وحياة جدك!! هنمشي برجلي دي..

- علشان كده سيبتك في المطعم شوية وروحت جيبت ده..

كان كرسي متحرك.. ارتفع حاجب الجد وهو يلوي شفتاه.. فبادله (شادي) إيماءة برأسه مع نظرة مُصَمِّمَة.. على الكورنيش انطلق شادي يدفع جده بسرعة.. وسرعة أكبر.. أكبر.. حتى تفاعل الجد وتحول من مجرد عجوز مستلقي إلى طفل يمرح مع صديقه الذي تحولت خطواته لقفزات ليلاحقه.. وما إن وصلا إلى القلعة حتى أخرج (شادي) الورقة وشطب حلمًا آخر..

~~"بحلم أن أعود لفعل الأشياء التي كنت أحب فعلها"~~

دخلا إلى (جيلاتي عزة) وترك (شادي) الجد ليطلب لهما ثم سأل عن دورة المياه وذهب تجاهها، ولكن لم يدخلها إنما تسلل للخارج ليفعل شيئًا ما في مكانٍ قريب، وعندما عاد استقبله الجد الجالس على الكرسي المتحرك في يده مخروطين سال على طرفيهما بعض الآيس كريم.. قال بصوتٍ عالٍ لينظر له رواد المحل:

- ساعة في الحمام!!

- خلاص يا جدو فضحتني.. المحل كله عرف إني كنت بعمل حمام..

فأكمل الجد بصوت أعدأ:

- ما يمكن ما كنتش بتعمل حمام وكنت بتكتب ع الحيطة سالب ببحث عن شريك الحياة ورقم تليفونك..

- مقبولة منك يا جدو..

- يا ابني ما تتكسفش ده توجهك الجنسي.. إنت حر..

- خلاص يا جدو خلاص.. تعالا هوريك حاجة..

- ما تورينيش يا شادي.. أنا متأكد إنك ما عندكش حاجة..

ضحك (شادي) ضحكة قصيرة وهو يَغُصُّ على قشرة شفته اليسري ويوجه الكرسي للخارج:

- والله إنت رايق..

- طب خد يا رايق الجيلاتي بتاعك بدل ما أنا متذنب كده..

أخذه (شادي) للخارج.. متوجهًا به إلى مكان يعلمه الجد جيدًا.. مكان يحمل كثيرًا من الذكريات التي حكى بعضها لـ(شادي) سابقًا..

- إنت جايبنا هنا ليه؟

- هتعرف..

لم يَزِد عليها (شادي) وأسند جده ليقف ومشى به حتى يجلسا ع السور لِتُرَحِّبَ بهما قطراتٌ من البحر.. ورأى الجد ما أراد (شادي).. لقد كان القفل الّذي أستله (شادي) من الصندوق دون أن يدري الجد.. مُعَلَّقًا في إحدى حلقات الصخور.. نظر (شادي) لجده ليرى وَقْعَ الأمر عليه.. ثم وضع المفتاح في يد الجد.. وابتعد..

وقف يراقب الجد من بعيد وأخرج الورقة وشطب أحد السطور..

~~"بحلم عندما أعود من غياب ألا تكون الأشياء المهمة قد اختفت"~~

ثم أكمل مراقبته للجد الّذي وقف وألقى بالمفتاح في البحر بأقصى امتداد ذراعه.. فقلب (شادي) الورقة وبحث عن سطرٍ آخر..

~~"بحلم أن أسلم مفاتيح قلبي لحب يبقى للأبد"~~

وعندما عاد بعينه كان الجد يشير له وهو يقول:

- يللا بينا؟

اقترب منه (شادي) واستلم قيادة الكرسي..

- يلا بينا..

- خَلّص بقى وشوفلنا تاكسي بدل الكرسي ده.. يا إما تطلع تشحت بيا قصاد أبو العباس أحسن..

- نعدي الطريق الأول.. وما تسألنيش ليه..

- ماشي.. بس ليه؟

- أيه يا جدو أنت مش واثق فيا ولا أيه؟

- بصراحة.. لأ..

- هي دي الروح المطلوبة..

يقف (شادي) ممسكًا بالكرسي أمام الطريق (الفاست موشن) يتحين التوقف اللحظي.. ثم قال مُقَلِّدًا الصوت الذي يصدر من سماعات الطائرة:

- نرجو من السادة الركاب ربط الأحزمة.. وعدم الوقوف.. تن تن تن..

ثم جرى وهو يدفع الجد.. وانطلقت صرخات الجد وصرخات (شادي) أيضًا رغمًا عنه.. حتى وصلا للناحية الأخرى.. قال الجد منفعلًا وهو ينهج:

- الله يخربيت سنينك كنت هتموتنا..

رد (شادي) وهو يتمالك أنفاسه:

- بص للجانب الإيجابي يا جدو.. إحنا كده حققنا حلم كمان..

وأخرج الورقة وشطب سطرًا آخر..

~~"يحلم أن أعبر طريق الموت دون أن يدركني"~~

- علشان تحقق حلم تقوم تموتنا يا وسخ؟

- مش بيقولوا يا جدو الآمال العظيمة تحتاج لتضحيات عظيمة..

- طب هنعمل أيه دلوقت يا ست أمال؟

- محققلك حلم إنك تقابل أسطورة.. أنا مستني تليفون من حد كده بيشوفلي سكة الأسطورة فين.. آه صحيح أنا فتحت التليفون ولقيت أبويا

متصل بيا بتاع 27 مرة وكلمته وعارف أنك معايا.. الدار اتصلوا بيه بعد ما الـ24 ساعة عدوا..

- قالك أيه؟

- المشكلة مش في اللي قاله.. المشكلة في اللي هيعمله لما نرجع..

قال الجد مُصَحِّحًا:

- لما نرجع.. ومتعملش ايه؟

- هنقابل الأسطورة..

وأمسك مقبضي الكرسي وبدأ في دفعه..

***

ساحر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

(15)

قهوة المُلّخ.. الأزاريطة..

ليس سهلًا أن تقرأ اسمها صحيحًا بتلك اليافطة المكتوب عليها الاسم بدون تشكيل.. يافطة وضعت قبل بدء الخليقة.. لقهوة تأتي من عصور ما قبل الجمهوريات العسكرية.. تتراص على حوائطها صور للعلم الأخضر، وأناس بطرابيش، وقائمة أسعار بالملاليم.. والشيش النحاسية المُتَراصّة في صف علوي.. وكاسيت يصدر منه صوت (عبد الحليم حافظ) وهو يغني (موعود) بصوت شَرْخَخَةُ عوامل التعرية..

وكان هو يجلس هناك يدخن أحجار السلوم التي فرقع فحمها إثر أنفاسه.. تصبغه عظمة من جلس على العرش الحديدي في نهاية الصراع.. أما (شادي) وجده فوقفا في طرفٍ خفيّ مُظلِم..

- ما عرفتوش برضه يا جدو؟

- ياض أنا أصلًا مش عارف إنت بتشاور على مين!

- طب تعالا يا جدو.. علشان أعرفك على الأسطورة..

أقبلا عليه مع عكاز الجد ليظهر لهما تمامًا بترنجه الأزرق.. وشاربه الكَثّ التي تتناثر فيه الشعيرات البيضاء.. مع بقعة (سامي العدل) البيضاء في

شعره.. ووجه وجسد يليق بمقاتل من الشايكينج.. يحمل لقب (أحمد التباع).. قال (شادي) وهو يمد يده مُسَلِّمًا:

- إزيك يا عم أحمد..

قام من مجلسه، وَرَحَّبَ بتواضع بصوتِهِ الأجَشّ ويد كسبت خشونتها من الشقاء في عالم المُعِدّات:

- إزيك أحبيب قلبي..

ثم أشار (شادي) إلى جده مُعَرِّفًا:

- جدو..

- إزيك أجدو.. إتفضلوا إتفضلوا.. تشربوا إيه؟

كان الجد هنا لأول مرة هو من لا يفهم ما يدور.. نظر لشادي نظرة تقول "مين ده؟".. فأشار (شادي) على (أحمد التباع) وهو يقول:

- هو ده الأسطورة..

كان الجد ينظر لـ(التباع) نظرة متفحصة حين أطلق سحابة دخان من فمه تكفي لأن تُظَلِّلَ الإسكندرية بالكامل، وأكد:

- أنا الأسطورة.. أنت ما شوفتش الفيلم ولا أيه أجدو؟

حكى (التباع) عن (هبة) التي سَجَّلَت له مكالماتهم الجنسية ونشرتها على الـ(يوتيوب) لتحقق شهرة واسعة له.. شهرة رفضها في البداية وَتَنَصَّلَ منها،

ولكنه استسلم لها وبدأ الإستفادة منها.. (التباع) حين يحكي يختلق الكثير من الأحداث، ولكنه حكاياته تحتوي دومًا على أخطاء فادحة.. فيقول أن مهندس الموقع هو من سجل المكالمات ثم يؤكد أن (هبة) شخصية حقيقية وأنه قابلها وكان معه صور لها ولكنها سافرت للإمارات!

ثم يحكي عن (جيسيكا) المديرة الأجنبية التي عشقته عندما رأته يتحكم باللودر ويجعله يميل على جانب لينفذ مهمة مستحيلة.. (جيسيكا) أيضًا سافرت لكن لبلجيكا!

ثم يحكي وهو يضحك عن أنه لم يكن يعرف من هو أصلًا (رامز جلال) الذي استضافه في البرنامج.. ثم يكمل وهو يطلق دخانه:

- الواد سعيد إبن الوصخة..إدوله 50 ألف جنيه..جِسْبة إنه يديلي نصهم.. أداني 5 وضرب الباقي في جيبه.. بس إحنا مسامحينه..

قال (شادي) كلامًا وإن لم يحسن تعبيره.. ولكن الجد فهمه، ورأى أين تكمن الأسطورية.. أسطورية الرجل تكمن في أن تعبيراته وجمله لازال الكثير يرددها رغم مرور سنوات عليها وهو أمر غريب في عصر تسارعت فيه الكوميديا للغاية، والإفيه لا يبقى حيًا فيه لمدة أسبوع.. أسطورية تكمن في شهرة من شيء غير أخلاقي وفمًا لمجتمع مُدَّعي الأخلاق، ومع ذلك كانت شهرة غير مقترنة بالكره.. أسطورية تكمن في قلب الجميلة داخل جسد الوحش.. أسطورية تكمن في رجل منقوع في مصاعب الحياة وعندما ربتت الحياة على كتفه لم يستسلم لغوايتها بسهولة.. ربما لو استمر في اختفاءه لتضاعفت الأسطورية.. فالاختفاء دومًا ما يمنح الأسطورية والتقديس.. أيًا كان هناك لمحة أسطورية تجعل (شادي) مُعجَبًا.. إنه أسطورة..

كان (التباع) مستمرًا في إحدى حكاياته عن المعارك والرحلات التي خاضها حول (كفر عشري) حيث نساء (الأباصيري) وأباطرة (أبو جريشة) وجيوش (صبحي العو).. قاتلهم (التباع) جميعًا وخرج بدون جُرْح واحد..

كان (شادي) يستمع باهتمام للحكايات.. اهتمام مشابه للاهتمام بأفلام التسلية.. هذا النوع من الحكايات يختلف عن حكايات جده.. نعم هو في النهاية قرر أن يصدق الجد رغم غرائبية حكاياته فهي بالمقارنة بحكايات (التباع) تعتبر أفلام وثائقية من إنتاج الـ(BBC)..

توقف (التباع) عن الجري في حواري حكاياته أمام حائط السؤال الأساسي.. ما العمل الّذي يريده من هذا الشخص كما أخبره في الهاتف هل هو عمل يخص المعدات أم عمل جديد في الميديا.. "المرة دي لن يقبل بأقل من 7000 جني بأستكيم".. هذه كانت الفكرة التي تدور برأسه قبل أن يقتلها (شادي):

- لا هو جدو بس كان بيحلم يشوفك..

- ما يجراش حاجة.. منور أجدو..

قالها وهو ينظر تجاه الجد، ولما لم يجد منه أيّ رد فعل عاد بنظره لـ(شادي):

- بس هو قاعد ساكت من أول القعدة ليه؟

- آه صحيح يا جدو.. ما تحكي حكايتك لعم أحمد..

هَزَّ (النَبَّاع) رأسه موافقًا.. أما الجد فكان يعرف أن ما يريده (شادي) هو أن يحصل على سيرة حياة مرتبة.. وهو ما لم يكن ليفعله.. كانت الإذاعة قد جعلت (عبد الحليم) يتحول إلى أغنية أخرى.. انتبه الجد للصوت المشروخ..

"لا لا لا تكذبي.. إني رأيتكما معًا.. ودعي الدموع فقد كرهت الأدمعا"

ثم قال:

- بس ممكن أحكيلكم حكاية الأغنية دي.. زي ما حكاهالي حد من أبطالها..

***

1961 تقريبًا..

كان (كامل الشناوي) شاعرًا ورئيس تحرير ذو جسد سمين وقلب سمين أيضًا.. قلب مكتظ به الكثير من القاعات.. وكل قاعة تمتلئ بالعديد من التماثيل.. كان لديه قاعة خاصة للسيدات الصعب الحصول عليهن.. السيدات اللاتي تجذب الزوار كان يريدهم أن يَكُنَّ له وحده.. حتى أنت (نجاة الصغيرة) لتجعل (كامل) يهدم كل التماثيل، ويجعل لها القلب كاملًا باتساعه..

(نجاة) لم تحبه ولم تجبه.. كانت في البداية وكان يساعدها.. كان يدفعها دفعًا للمقدمة.. فتح لها كل ما استطاع من أبواب مغلقة.. وبنى لها كل سلم للصعود.. فهل كانت لتجيبه؟

كانت لعبة شد حبل.. وكان هو دائمًا أمامها يصيبه الوهن ويصبح لاعبًا خاسرًا.. هل أجابته؟ لم تجبه..

أجابه اتصال من مجهول.. يخبره بمكان يذهب إليه لو أراد أن يعرف هل تحبه أم لا.. وعندما ذهب رآها هناك بين أحضانه.. هل كان (يوسف إدريس) أم (يوسف السباعي) أم (نزار قباني)؟ أم (عز الدين ذو الفقار)؟ لا يهم..

رحل بعدها إلى منزل (مصطفى أمين) بالزمالك ليبكي.. وجلس في غرفة يبكي يسمع نحيبه خلف الباب كُلًا من (مصطفى) و (أحمد رجب).. حتى صمت وأخذ سماعة التليفون وأدار قرصه برقم (نجاة) وذهب (مصطفى) و(رجب) ليستمعا من سماعة أخرى.. قال (كامل) بصوت يدمع:

- لا تكذبي إني رأيتكما معًا.. ودعي الدموع فقد كرهت الأدمعا.. ماأهون الدمع الجسور إذا جرى.. من عين كاذبة فأنكر وادعى.. إني رأيتكما.. إني سمعتكما.. عيناكِ في عينيه في شفتيه، في كفيه، في قدميه وبداك ضارعتان ترتعشان من لهفٍ عليه.. لاتكذبي..

أما هي فردت بصوتٍ مَرِح:

- حلوة قوي يا كمولتي.. تنفع أغنية.. أنا لازم أغنها..

وصمت (كامل) ليدخل عليه (مصطفى) و(رجب) ليجدوه سقط أرضًا.. بعدها أكمل (كامل) الأغنية لتغنيها (نجاة) في فيلم (الشموع السوداء).. (كامل) لم يكره (نجاة).. (كامل) كره نفسه حتى مات بعد ذلك بعدة سنوات قليلة..

من حكى لي هذه الحكاية هو (عبد الحليم) الذي غنى الأغنية بدون استئذان (نجاة) كان يقصد أن يضايقها وقد فعل.. ما دخل (عبد الحليم) بكل هذه الحكاية أصلًا؟ (عبد الحليم) كان المجهول الذي اتصل بـ(كامل)..

***

- يا نهار اصوح.. كيدهن عظيم إنت هتقولي .. محسوبك خبرة 9 خوازيق والله..

أخرجهم (التباع) من تأثير القصة بطريقته في الكلام.. ليضحك الكل، وينبههم (التباع) دون أن يعرف سبب الضحك.. صمت الجد لفترة ثم سأل (التباع):

- هو احنا عايشين ليه يا أسطورة؟ أيه السبب اللي انت عايش عشانه؟ فاهمني؟

أومأ (التباع) برأسه أنه يفهم.. أخذ نفسًا طويلًا من الشيشة لم يزفره وفتح فمه ليتسلل الدخان بهدوء إلى أعلى وهو يقول:

- إحنا عايشين علشان نطلع ميتين الناس اللي طلعوا ميتينا قبل كده..

لاقت الإجابة استحسان الجد، في نهاية الجلسة أصَرَّ (شادي) على دفع الحساب وطلب (التباع) حجر آخر.. وبعد أن اتخذ (شادي) و(الجد) خطوات للخارج عاد (شادي) للتباع يسأله:

- متعرفش يا عم أحمد حد هنا بيبيع حشيش؟

- نعرف.. ممكن ندلوك على واحد بتاع كله.. الإكس..

***

جراج الإكس..

مكان غير موجود على خرائط جوجل..

في أحدى الشوارع الجانبية من شارع الجيش.. شارع جاني ينتهي بحائط سد.. وعلى أحد جانبه يكمن جراج في مستوى منخفض عن الأرض تعلى به الموبقات السبعة.. يقال أنه يعمل لصالح مجموعة من كبار مجرمي الإسكندرية، وقيل أيضًا أنه يعمل لصالح واحد من كبار رجال الأمن..

يركن (شادي) السيارة بهدوء أمام كشك الكهرباء الصغير في الجانب.. بينما الجد ينهي حواره:

- في أسئلة بيكون وجودها هو السبب الوحيد في الإستمرار.. لما قابلت داوود عبد السيد من فترة قريبة قالي إنه مكمل بس علشان يبدور على إجابة سؤال واحد.. "أنا مبدع فعلًا ولا لأ؟"..

ثم انتبه إلى أن (شادي) أوقف السيارة فسأل:

- هو احنا هنا ليه؟

- جدو حاول تثق فيا شوية..

- مش قادر والله..

- هجيبلنا سيجارتين حشيش..

- مش بقولك مش قادر يا وسخ..

- طب تعالا بس ما تقلقنيش.. أنا مقلق خلقة..

باب الجراج أسود عليه خطّان أحمران متقاطعان تظهرهما تلك اللمبة الصفراء الصغيرة.. كان فيما قبل مضاف لهم (جراج خاص.. ممنوع الوقوف).. وبعد أن أعيد دهانه مع تجديد النشاط لم يكتب إلا تلك الـ(X) الحمراء..

يطرق (شادي) الباب وينتظر، ويتبادل النظرات مع الجد.. وقبل أن يطرق مرة أخرى.. انكششت فتحة في الباب لشخص أقرع ضخم تشع الهرمونات من جسده ذو عين تكاسل عنها اللحم فوقها اللحم المزدان بأثر خياطة طولية.. إنه المسيخ الدجال.. هكذا فكر شادي وارتعد للفكرة.. ليقول الأقرع بصوتٍ قادم من أحداث نهاية العالم:

- كلمة السر؟

تبادل (شادي) النظرات مع جده وهو يقول كأنه بنصف يتحدث مع الجد ونصف يتحدث مع الأقرع:

- معدش قالنا إن في كلمة سر!

ثم انتبه (شادي) لمدى غباؤه.. أكان من الأفضل أن يخمن كلمة.. ولكن العجيب أن الأقرع سحب المزلاج الحديدي.. فالحقيقة أنه لا توجد كلمة سر إنما هي فقط جملة تجعله يقيم الزبائن..

وفتح الباب.. أمسك الجد بكتف (شادي):

- أنا مش قادر أقف على رجلي.. هستناك في العربية.. هات المفتاح..

وأمام نظرات الأقرع لم يجد (شادي) فرصة ليقنع جده أن يدخل معه.. اثنان أفضل من واحد بالتأكيد، ولكن ناوله المفتاح ودخل.. وأغلق الباب..

يأخذ (شادي) خطوات مترددة بين الموسيقى ذات الإيقاع السريع.. والأضواء المختلفة.. والدخان.. وزجاجات الستلا والـ ID.. والصدور والأوراك.. والـ دولاب..

وجوار الدولاب يقف شاب يمتلك قصة شعر (حسن الشافعي).. يتدلى من صدره قلادة فضية ثقيلة فوق تيشيرته الأسود، وبيده التي أمتلأت بخواتم تكفي مملكة الخواتم يمسك زجاجة ID بطيخ سوداء تحتوي في الحقيقة على فانتا تفاح.. فهو لا يقرب المحظورات.. قال (شادي) وهو يحاول أن يرسم دور الشاب الخطر:

- عايز حتة حشيش تودي في حتة تانية.. حتة تلف سيجارتين يا وحش..

أخذ الشاب رشفة فانتا من زجاجته وقال بهدوء:

- لا نبيع الدخان خوفًا من الرحمن..

وانتظر قليلًا ليرى وجه (شادي) ثم ضربه على كتفه كأنهما أصدقاء وهو يضحك:

- بهزر معاك يا وحش.. سايكو.. دراسات حرة تحت السرة.. مبدأ حياتي دماغي وحمامتي وحمد الله على سلامتي..

وضع (شادي) يده في يد (سايكو) الممدودة مُصَافِحًا، وحاول أن يقلد طريقته في الحوار لكن لم يجد ما يقوله:

- شادي..

- شادي!! إنت من النهاردة شيتوس..

تدخل علهم تلك المهرة العربية الأصيلة تستند على البار وتترك صدرها ليستريح عليه بجوار (شادي)، وقالت بصوت وأنفاس يمتلكان حنان بطانية مخملية في ليالي يناير:

- سايكو.. سيجارة..

- حمامة سايكو..

ناولها سيجارة من علبته الّتي يحملها فقط لتنفيذ الرغبات.. ثم ناولها الولاعة لتشعل السيجارة وهي على نفس الوضع.. ولم يستطع (شادي) أن يتمالك نفسه من أخذ فكرة عن هذا المنتج الّذي يعد من أجود إنتاج الصدور المصرية.. ثم انصرفت.. فلم يتماسك عن أخذ فكرة سريعة عن مؤخرتها وسمانتها.. قطع الفكرة صوت (سايكو) ليعيد اتجاه نظر (شادي) إليه :

- توتة اللولة.. اللي تدبها في القلة تقول يا حلولة.. بحبها والله البت دي.. بنت حرام وتستاهل كل خير والله.. حكمة حياتها الصدر مفتاح الفرج..

وربنا فرجها عليها من وسع الحقيقة.. لو حبتها أنا عندي جوه أوضة إيجار قديم بـ500 جنيه الساعة بس.. وهي كانت بتلاغيك على فكرة..

- لا لا لا.. أنا عايز اللي قولتلك عليه بس..

- أيه شيتوس خايف يطلع من هنا ملفوف في ملاية بيضاء؟

فكر (شادي) للحظة وأنفلتت الإجابة التي تضيء عقله مع إنذار مضيء بالأحمر:

- آه..

- دي وجع ولا دلع؟! أنت أصلًا ممكن تطلع من هنا حالًا ملفوف في ملاية بيضاء..

قالها بهدوء، وانتظر قليلًا ليرى وجه (شادي) ثم ضربه على كتفه مرة أخرى وهو يضحك:

- بهزر معاك.. الحالة الوحيدة اللي ممكن تطلع بها من هنا ملفوف في ملاية بيضاء إنك تموت لا قدر الله.. هنلفك ونرموك في الجبل..

صمت (شادي) للحظة ثم ضحك وكأنه أدرك المزحة:

- بهزر برضه؟

فرد بدون أيّ أثر للمزاح:

- لأ بتكلم بجد يا شيتوس إحنا بنرمي واحد ع الأقل كل أسبوع.. قولتلي عايز أيه بقى غير توتة اللولة؟

- توتة أيه!! أنا عايز حشيش بس..

***

كان الجد قد بدأ في القلق من تأخر (شادي)، ولكن مع ذلك حاول أن يمهله 5 دقائق أخرى قبل أن يدخل ليطمئن.. حتى أنه حاول أن يغفل.. حتى أنت تلك الأنوار المتباطئة من الخلف..

توقفت الجيب رانجلر موديل 96 صاحبة الضوء خلف الهيونداي.. ونزل منها ذلك الشخص الذي اقترب يتفحص الهيونداي يتأكد بشئ يدور بخلده.. كان الجد الآن في قاع السيارة يملؤه التوتر يغطي نفسه بالبالطو معتقدًا أنه مع الضوء الخافت القادم من تلك اللمبة والشارع سيكون ستارًا مناسبًا وقد كان.. ولم يستمع إلى صوت طرقة.. غالبًا إنها ركلة من الشخص للإكصدام ولابد أيضًا أنها آلمته..

يسمع الجد خطوات ذلك الشخص وهي تبتعد.. يطرق الشخص بوابة الجراج.. وما أن يفتح الشباك حتى حشر ما استطاع من وجهه فيها وهو يقول:

- أحلى مسا بروفيشنال.. بقولك..

وقبل أن يكمل أظلمت الأنوار عن الشارع.. وصرخ الأطفال فرحًا، وقال شخصًا ما في أحد الشقق "الله يخربيتك يا مرسي"!

***

- خُد مني بقى المفيد اللذيذ وحطه في الدهاليز.. أنت بتعرف تلف الأول؟

قالها (سايكو) ونظر لـ(شادي) الذي يفكر:

- يبقى ما بتعرفش يا شيتوس.. ما تقلقش عندي سجاير ملفوفة للعيال الهتية اللي زيك..

ثم ضربه على كتفه:

- بهزر معاك.. بص أنا تاخد مني سيجارة أستفة جديدة اسمها الأستاذ مدحت صالح كوكب تاني.. تسخن بها تطلع منها بقى على مرحلة الوحش سيجارة (غيابة الجوب) متكترش عن نفسين.. تطلع فوق تدعي لسايكو وتنزل على طول.. وأوعى تضرب غيابة لوحدها وإلا هتغيب معاك وتقلب بغيبوبة.. آمين؟

- خليهم بقى 2 الأستاذ مدحت و2 غيابة.. كام كده؟

كان يؤمن بأن الإستغلال من المحظورات ولكنه كذلك يؤمن أكثر بأن (الدولارات تبيح المحظورات)..

- بص هو السعر كبير شوية.. 7 جي..

توقف (شادي) عن إخراج النقود ليتأكد من الرقم.. و.. ضربة كتف لعينة أخرى:

- بهزر معاك.. 700 يا شيتوس.. والسعر مش شامل الدعوة اللي هتدعيهالي..

وفتح (سايكو) علبة ضخمة داخل الدولاب.. مرصوص فيها بعض السجائر الملفوفة بالإضافة إلى سجائر (Smoking) القابلة للتعبئة.. كل صف يحتوى على نوع معلم فلتره بلون من قلم ماركر كدليل على نسب ما تحويه السيجارة إلى العائلات الكيميائية (JWH, THC, HU, AM) تبادلا النقود والسجائر.. وفجأة أظلمت الأنوار.. وسُمِعَت أصوات غريبة، وبعدها بثواني شعر (شادي) بتلك اليد تحضنه بعنف..

***

ما أن خرجا من الباب وسط الظلام الدامس قال المحتضن:

- اركب بسرعة..

- جدو!! هو في أيه؟

- إخلص مفيش وقت..

- الباب ما بيفتحش..

- إركب ورا..

وأدار الجد السيارة ورجع للخلف بكل سرعة.. ليجبر الرانجلر أن تعود للخلف متزمتة.. لتصطدم بها سيارة أخرى على الطريق وتجعلها تدور.. وانطلق الجد بين السيارات وهو لازال في وضع الرجوع للخلف.. مع موسيقى تصويرية مكونة من صرخات شادي وتساؤله مِرَارًا وتِكْرَارًا "في أيه؟؟ في أيه؟؟" وأصوات ارتطامه بجانبي السيارة.. حتى ابتعدا..

***

"في أيه؟؟ في أيه؟؟"

كان الجد في السيارة عندما رأى ذلك الشخص يتفحصها.. إنه يشبه نفس الشخص من العصابة الّتي كانت تنتوي سرقة سيارتهم.. صوت الركلة أَكَّدَت أنه يعرف السيارة.. إنه هو نفس الشخص بالتأكيد.. هل علم هذا الشخص بأننا أحرقنا سيارته؟ مؤكد أنه علم.. هل سيحرق السيارة وهو داخلها؟ لم يفعل.. ربما لأنه اعتقد أنهم شركاء بشكلٍ ما في عالم الإجرام وهو ليس بقديم في هذا العالم.. وسيكون قد أخطأ مرتين مرة عندما اعتدى عليهم ومرة عندما حاول أن يأخذ حقه.. الشخص يأخذ خطوات نحو باب الجراج وهو يرتب أفكاره.. (شادي) بالداخل وهو يعرف وجه (شادي).. وصندوق الكهرباء يقف أمام السيارة.. خطوات الشخص رافقتها خطوات الجد.. الباب ينفتح.. والجد يحشر عينه في الداخل ليرى موضع (شادي) ثم يخفض كل الأزرار. ويستغل الباب المفتوح ليدلف للداخل وتعامل مع كل جسد يؤخر تقدمه بواسطة عكازه.. سيطر على الهدف وانسحب بدون خسائر.. هذه أمور تعلمها من مكان ما..

التحرك بهذه السيارة الآن خطر ولابد من ركنها في مكانٍ ما ووضع غطاء عليها.. حتى تمر عدة ساعات قبل أن ينطلقا بالسيارة مرة أخرى مبتعدين عن الإسكندرية بطريقة ما.. لابد أن يغيرا السيارة.. من الممكن أن يؤجرا سيارة نقل مغطاة تنقل السيارة.. كانت كل تلك الأفكار الأخيرة يقولها (شادي) بسرعة أكبر من سرعة نبضات الألم التي تُلِمُّ برأسه.. حين قال جده:

- سيبك بقى من أم العربية دي.. احنا هنرميها في أي حتة بدل ما نروح معاها..

- بس العربية دي في عهدتنا يا جدو.. يعني حقنا وما أظنش أنك عايزنا نسيب حقنا كده ده ضد حلم إنت كاتبه في الورقة على فكرة..

كان الجد يأكل فمه متماسكًا.. زفر من أنفه وهو ينظر لـ(شادي) ثم قال:

- روح اشتري غطا للعربية.. لسه باقي معاك فلوس؟

***

على الشاطئ المظلم.. لم تظهر إلا نقاط نور بعيدة لمجموعة شباب يصطيحون.. ومحبين أبعد يتبادلا بعضًا من القبلات المسروقة.. أما المسيطر فكانت سيمفونية الأمواج..

قال شادي وهو يفترش الأرض ليجاور جده وهو يضحك:

- عارف يا جدو لما جيت حضنتني في الجراج كنت فاكرك بت..

- تصدق يا شادي نفس الإحساس بالظبط.. كنت فاكرك راجل..

- ماشي يا جدو..

- متزعلش كده.. ده عبد العزيز البشري مزعلش كده من حافظ إبراهيم لما قالهاله..

- طب فكك بقى يا جدو من الناس بتوعك دول.. وخلينا نشوف السيجارتين دول..

- سيجارتين!! يعني إمبارح عاملي فيها مجدي يعقوب والنهاردة عاملي عزت حنفي؟

- أعمل أيه طيب في أحلامك!!

- ده أنبي حلم ده اللي إستغليته علشان تحشش يا وسخ؟

- نشرب بس سيجارتين مدحت دول وأنا هقولك..

في يد كل منهم سيجارة.. سيجارة وإن أطلَقَت السُعَال في البداية إلا أنها انتهت بمسح كل الأصوات من الخلفية.. وجعلت أصوات الأمواج تختلف تشبه فيروز وهي تغني "أنا لحبيبي وحبيبي إلي" ولكنه صوت بعيد.. حتى بنات الأفكار ذهبن في رحلة سحاقية صامتة.. صحراء ليست بها حتى غراب ينعق..

أخرج (شادي) السيجارة الأخرى ذات النقطة الخضراء.. سيجارة ستكفل الأنفاس للإثنين.. النفس الأول أطلق بعض الهواء في الصحراء ثم عادت

لطبيعتها.. النفس الثاني أطلق عاصفة ولكنها هدئت.. لقد قال (سايكو) نفسان ليس أكثر ولكن لم يحدث أيّ شيء بعد.. لا بأس بعدة أنفاس أخرى.. وتناوبا (شادي) وجده على السيجارة.. التي لم تطلق إلا زعابيب في الصحراء أو تجعل كرة من الأغصان المتيبسة تمر بها أو تغير لونها إلى الأبيض والأسود أو تظلم، ولكنها تعود دومًا صحراء خالية.. سأدعي عليك يا (سايكو) لن أدعي لك.. هكذا فكر (شادي) وهو يمد يده في جيبه ناويًا إخراج السيجارة الأخرى.. حين قال الجد بصوتٍ بطيء وهو يلكز (شادي):

- سامع صفارة القطر؟

حاول (شادي) أن ينصت أكثر:

- أنا مش سامع إلا صوت طيارة..

تذكرة الـ(غبابة) تختلف رحلاتها باختلاف المخ الّذي تلتصق به تركيباتها الكيميائية.. مخ تنطلق في صحراءه قطار.. ومخ تهبط طائرة إلى مدرج ظهر فجأة في الصحراء.. رحلة غرائبية تتنفس فيها الأراضي، ويتحول الأشخاص إلى حيوانات.. وتنفتح السماء لتكشف عن الآلية الإغريقية.. كل شيء هنا.. كل الأفكار كل الأشخاص كل الحكايات ممزوجين تمامًا إثر رحلة انتقال آني مزجت بوابة خروجها الإلكترونات.. طيارة (شادي) تسقط بسرعة دالفة إلى فم والده.. وقطار الجد يدلف إلى نفق مثلث الشكل وضعت عليه يافطة "مرحبًا بك في مثلث بارمودا".. الطيارة تسبح في أعماق المحيط.. والقطار يعثي في الفضاء..

حيتان.. حوريات بحر.. كائنات فضائية.. سيد قشطة.. عناكب عملاقة.. عش الغراب.. ألعاب نارية.. نجوم.. قوس قزح..

ألوان قوس قزح تتفرد..

أزرق..

أصفر..

أحمر..

لا لون..

واستيقظ (شادي) صارخًا .. صرخة جعلت السلطعون الّذي قرص أنفه يبتعد خائفًا، نظر (شادي) حوله.. و..

تبًا.. ما الّذي يحدث هنا؟!!

***

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

(18)

حينما فتح (شادي) عينه لم يكونا في نفس الشاطئ.. نعم هو شاطئ.. ولكن هذه الجبال لم تكن موجودة هنا!

استيقظ الجد بسبب صرخة (شادي) وقال بصوت متعب وهو يغمض عينه ويفتحها طاردًا بقايا الهلوسة:

- الله يخربيت سنينك.. إنت شربتنا أيه؟

- والنبي يا جدو استنى أما نشوف المصيبة اللي احنا فيها دي الأول..

كان الوضع كالتالي.. (شادي) وجده مغموسان في الرمال لا تظهر إلا رأسهما.. وبجوارهما على الشاطئ تماثيل رملية لنساء مستلقيات بعضهم عاري والآخر يرتدي البكيني المصنوع من الأكياس السوداء التي يلقيها البحر.. وإنشائات رملية أخرى.. والسيارة!

السيارة مختلفة.. فإصاباتها القديمة قد عولجت، وإن كانت قد اكتسبت إصابات جديدة.. السيارة تحولت من الفضي إلى أحمر يختلط مع اللهب.. وعلى باب السيارة كتب بخط أسود كبير M&S.. والباب الآخر كتب عليه الرقم 100.. مع بعض الإكسسورات التي منحتها تنكرًا رياضيًا.. بعد أن تخلصا بصعوبة من وضعية الزرع السابقة.. لم يستكمل الجد لومه.. فلم يكن أحد يفهم ما الذي يدور هنا.. لم يكن أحد يجد حتى ما يقوله..

كانا بملابس مختلفة أكثر شبابية وأكثر امتلائًا بالرمال.. ركبا السيارة التي كانت مفتوحة.. المفتاح موجود بالداخل لحسن الحظ.. أدار (شادي) السيارة.. ثم لاحظ في المرآة أن الزجاج الخلفي مُغَطًى بشيء ما ليحجب الرؤية.. زفر وهو ينظر للخلف.. لاحظ الجد ذلك.. فقال:

- هنزل أنا.. وافتحلي الشنطة علشان واضح إن احنا هنلاقي فيها جثة..

في الخلف كان ملصق على السيارة ستيكر يملأ الزجاج.. لصورة الجد و(شادي) يرتديان كابان، وهم يخرجا لسانهما ويشير أحدهم للآخر بالخنصر والسبابة ويشير الآخر له بعلامة النصر كنجوم الراب.. حاول الجد نزعه كأنه يداري فضيحة، ولكنه صنع بطريقة تجعله لا ينزع فقشر بصعوبة جزء يسمح حتى بالرؤية..

الحقيبة لم تحتوى على أي جريمة.. إلا إن كانت الأشياء التي بها مسروقة .. مجموعة من الملابس وعلبة وأدوات أخرى وقوقعة!

كان (شادي) في نفس الوقت قد نزل من السيارة ولكن ليخرج ورقة الأحلام التي كانت موضوعة أسفل المَسَّاحة.. ورقة الأحلام التي كانت قد تضاعفت أحلامها المشطوبة.. ورقة الأحلام التي كانت تحوي دائرة تدل على اتجاههم.. حين سمع (شادي) جده يناديه:

- شادي.. تعالى غَيَّر هدومك إحنا تقريبًا سرقنا زارا..

توجه (شادي) له وهو يشير للورقة:

- وتقريبًا أنا كمان عرفت إحنا كنا رايحين فين.. ايه الصورة دي يا جدو؟

تبادلا النظرات.. بينما ظلت يد (شادي) موجهة للدائرة التي كتب فيها (مارينا) مع رقم تليفون..

***

مارينا-20 كيلو..

- دلوقتي يا جدو في أحلام مشطوب عليها وأنا مش عارف احنا حققناها إزاي.. في أحلام أقدر أتوقع إن احنا عملناها بس ما كناش شطبناها.. يعني..

~~"بحلم بزيارة عالم مختلف"~~

- وده الحلم اللي جيبت السيجارتين علشانه أصلا وهما حققوا ده وزيادة.. كمان..

~~"بحلم أن أنقذ حياة شخص يستحق"~~

- إنت أنقذت حياتي أكتر من مرة..

- ده على أساس إن إنت تستحق يعني..

- عديها يا جدو.. وبعدين لو مكنتش أستحق كنت هتنقذني مرتين يعني! خليني أكمل..

~~"بحلم أن أفوز في معاركي"~~

- ممكن نكون اعتبرنا إن اللي عملته في الكاشير ده معركة يعني.. وكمان..

~~"بحلم أن يعود بي العمر إلى الخلف عشر سنوات"~~

- إنت كام سنة يا جدو؟

- سبعين وشوية حلوين..

- طيب أنت بالي أنت لابسه ده متجيبش 20 سنة.. بس في بقى حاجات مش مريحة يعني..

~~"بحلم بالقضاء على كل من يعطل طريقي"~~

~~"بحلم أن يحترق من جعلوا الحياة أصعب"~~

~~"بحلم أن أحصل على أموال تكفيني طوال حياتي"~~

- الأخيرة دي أنا حققتها فعلًا..

قالها الجد وهو يخرج كارت الفيزا..

- أتمنى إن إحنا ما نكونش سرقنا بنك.. بس أنا فعلًا مش عارف إحنا حققنا الحاجات دي إزاي.. وفي غيرهم كمان..

~~"بحلم بممارسة الجنس مع 100 سيدة مرة واحدة"~~

- أنا مش فاكر الحلم ده أصلًا..

قالها الجد وهو يهز رأسه نافيًا وأبقى يهزها كأنه ينفي التهمة عن نفسه.. فأكمل (شادي):

- أيًا كان يا جدو.. لسه في حاجات تانية مستحيل نكون لحقنا عملنا كل ده في الكام ساعة اللي فاتوا..

"نحن لسنا في نفس اليوم" هذه هي الفكرة المسيطرة.. موبايل (شادي) غير موجود.. الراديو إشارته ضعيفة.. وتذكر الجد شيئًا ما:

- صحيح في علبة موبايل تقريبًا في الشنطة..

كانت تقريبًا علبة بيضاء تحتوي على (iPhone 6) وخط فودافون لم يزع من كارته بعد.. الخط يحمل نفس رقم (شادي).. أخذ نفس وفكر.. الأمر بسيط لقد ضاع موبايلي أو سُرِق أو أيًا كان.. لقد اشترينا موبايل جديد ومن أحد فروع فودافون استخرجت خط بنفس الرقم.. الأمر بسيط هذا أوضح ما يكون قد حدث خلال المدة الغير مفهومة أو معلومة.. يضع الخط في الموبايل.. عدد من الرسائل وجرس.. تبادل النظر مع جده وضغط زر الإجابة..

- أ..أ.. ألو..

صوت بكاء يتخلله:

- أختها.. شادي.. ليه؟..

(فرح)!!

- في أيه يا فرح؟

- أنت اللي في أيه يا شادي؟!

حكت (فرح) عن تلك المكالمة التي دارت بينهم.. اتصل بها ليخبرها أنه لن يكمل.. لَسْتِ قطعة البازل المناسبة! ولم تكوني الإجابة الواضحة! وسيلقي الهاتف بالبحر ليشهد على هذه النهاية! لم تفهم.. وأغلق الموبايل من وقتها من حوالي ثلاثة أيام..

- من تلات تيام! طيب يا فرح.. وربنا يكرمك وتلاقي ابن الحلال أو غالبًا اللي أمك هتلاقهولك..

وأنهى المكالمة.. كان قد ضرب القاضية وهو في غير وعيه وأراد أن يجرب لكمة خفيفة بعد انتهاء المبارة.. تن تن.. المبارة النهائية حسمت لصالح (شادي)..

هناك رسائل عرف من أرقامها من والدته وأخته يترجاه بأن يعود للمنزل، ورسالة من والده تخبره بألا يعود أبدًا للمنزل.. ورسالة من (حماده) يخبره بأن النقود وصلت مع سبة بالأم.. غالبًا نقود التأجير.. هكذا فكر (شادي) ورسائل عدة من (فرح) لا تهم بعد فوزه.. قام بالجوجلة على سرقات البنوك خلال الأيام السابقة، وحمد الله أنه لم يجد شيئًا..

كان الفوز قد منح (شادي) الكثير من الحماسة جعلته يأخذ شهيق طويل وكأن جبلًا قد انزاح عن صدره.. فقاطعه الجد الذي يفكر:

- تلات تيام!! أنا مش قلقان غير إن إحنا نكون مطلوبين أو العربية متبلغ عنها.. الله يخربيت الزفت اللي شربهولنا..

قالها الجد بعصبية.. فحاول (شادي) تهدئته:

- أنا غلطان.. بس ده كله عشان أنفذلك حلـ.

قاطعه الجد وترومومتر عصبيته يكاد ينفجر:

- الله يلعن ميتين أم أحلامي..

مرت دقائق حتى استعاد الجد هدوءه، وعاد بنظره لـ(شادي) الّذي يحمل وجهه تعابير الأسف.. وقال:

- بعد كده قبل ما تعمل حاجة عايزين نفكر فيها كويس.. أيه الأحمر اللي عندك ده؟!

قالها الجد وهو يشير لأنفه.. فنظر (شادي) في المرآة يتفحصها:

- ده بجد!! أنا كنت فاكره تبع الهلوسة!!

- هو أيه؟

- البتاع اللي قرصني ده اللي أسمه طعلس..طلسعون.. سطلعون.. إسمه أيه؟

قال الجد وهو يضحك:

- سطلعون؟! طب إطلع يا سطلعون.. إطلع..

- وترجع تقولي ميتين أم الأحلام.. ما نرجع أحسن..

- إطلع يا وسخ..

عاد (شادي) للقيادة وهو يقول:

- وبعدين يا جدو.. إحنا لو وقعنا في أي مشكلة إنت هتطلعنا منها مش أنت لواء برضه وليك علاقاتك؟

- تسمع عن خيل الحكومة يا شادي؟ الخيل كانت وسيلة النقل للهيئات الحكومية زمان.. ولسه الشرطة بتستخدمها في بعض الأماكن.. الخيل دي تفضل تشتغل لحد ما تكبر شوية.. وأول ما بتكبر ما بتتسابش تطلع على المعاش.. لأنها هتفضل تصرف أكل ونضافة وهي ما بتعملش المطلوب.. بتتضرب بالنار بين عينها علشان ما تكلفش رصاصة تانية.. وتتباع لحديقة الحيوان وجبة للأسد اللي ما بيعملش حاجة غير أنه بينام على بطنه أو على اللبوة اللي جايبينهاله..

ثم استدرك:

- غالبًا الأسد هينام علينا كمان قبل ما يتغدى بينا..

***

ساحر الكتب
WWW.SA7ERALKUTUB.COM

(19)

يافطة في منتصف الطريق كُتِبَ عليها "المتوجه إلى مارينا طريق جديد" مع سهم يشير إلى طريق في الصحراء بين جبلين.. لم يتكلم (شادي) أو الجد ولكن تبادل نظراتهم كان يعني أنهم سيجربون الطريق الجديد.. من ناحية كان كل تفكير الجد في الإبتعاد عن البوابة.. البوابة التي في الغالب ستمنحهم المعرفة الصعبة لإن كانوا مطلوبين أو لا.. ولكن فلنبتعد عنها ونجعلها الحل الأخير الآن.. أما (شادي) فكان يهتم لفكرته الجديدة .. أنه يبحث عن المغامرة..

والمغامرة لا تتأخر لمن يبحث عنها.. لقد انتهى ما يبدو أنه كان الطريق ولم يعد هناك إلا كُثْبَان الرمال الصفراء.. وظهرت فجأة ثلاث سيارات دفع رباعي.. يحملن ملثمين ذوي ملابس سوداء وجواكيت مموهة.. وعُلِّقَ على رقبتهم كوفيّة من الرصاص.. يحملون الرشاشات وتحمل سيارتهم ذلك العلم الأسود ذو الدائرة البيضاء المقبض..

***

لم يقتلوهم وإنما رحبوا بهم وأخبروهم أن الشيخ (خليفة الإمباي) ينتظرهم واقتادوهم إلى معسكر لاح من بعيد... وما إن وصلوا حتى قابلهم ذلك الرجل ذو الذقن الطويلة العريضة وعلامة صلاة تكفي مسجدًا

بمصليه.. يرتدي جلبابًا تتقاطع عليها أشرطة الرصاص ومتدثرًا بعباءة.. رحب بهم.. تحديدًا هو رحب بالجد.. احتضنه وضمه إليه كضمة القبر:

- يا هلا وألف هلا بأستاذنا وشيخنا وعمنا.. يا بيبيه وين اللحية وليش ملابس الكفر ذي؟ تمويه يا شيخنا تمويه.. والله إنك عقلية.. تعلم كيف تلبد.. أنت تقاتل العير ولاد ذيل الكفر بزيهم.. بوركت وتباركت وأكرمك الله كرمًا كبيرًا..

كان ذو الذقن يتكلم بكلتا يديه ويحتضن كثيرًا.. وكان واضح أنه هو الشيخ (خليفة الإمباي).. وكان واضح أيضًا أن هناك سوء تفاهم كبير يدور هنا.. وكان أكثر وضوحًا من كل ذلك أن هناك اتفاق ضمني تم بين (شادي) والجد هنا.. سنجاريهم في الأمر حتى تأتي فرصة للهرب.. أو نستطيع المجاراة حتى يتركونا نرحل في هدوء.. هناك حل أحمق آخر وهو القتال.. لكننا سنجاريهم بالتأكيد لن نفعل أيَّ حماقة..

أشار (خليفة) لأحد الملثمين:

- يا ولد إنقلع روح هات تياب للشيخ ولد من ذا يا شيخنا؟ غُليمك هذا.. والله أنه غُليمك يا شيخ يا شيخ يا شيخ..

قالها وهو يضحك ويحضن الجد عدة مرات.. يبعده ثم يأخذه في حضنه مرة أخرى.. فضحك معه الجد واحتضنه لاستمرار خطة المجاراة.. فاقترب (خليفة) من (شادي) وأمسك ذقنه وقلب رأسه لناحية وأخرى يتفحصه..

- يا زين خدته زبناه.. مليح والله يا شيخ بارك الله لك فيه.. وكلي رجاء من الله إن بنيتي (زليخة) تمنحك ما يجعلك تقرطه وتدهكه يا شيخ.. يا عساني ما أذوق حرّك..

واحتضن (خليفة) الجد ومشي معه ومن خلفهما (شادي)..

يجلس الجد جوار (خليفة) على الأرض المفروشة بالحصير والمساند وظُلّلت بسعف رُفِعَت على جذوع النخل.. وكان الجد و(شادي) قد غيرا ملابسهما.. ملابس الجد مَنَحَتْهُ إطلالة (خليفة) أما ملابس (شادي) فمنحته إطلالة (مايا خليفة).. الأمور باتت واضحة.. فرح الجد على (زليخة) ابنة (خليفة) الليلة.. الجد هو عنصر هام في هذا التنظيم.. هذا بالتأكيد سوء تفاهم وإما أنهم خلال الأيام السابقة التي لايعلمون عنها شيئًا.. قد فعلوا شيئًا يجعلهم بهذه الأهمية للتنظيم.. لحظة.. لقد اتخذوا هذا الطريق أصلًا بالمصادفة.. هذا مجرد سوء تفاهم غالبًا.. ما كان يمنع (شادي) أن يفكر جيدًا هو ذلك الجلباب المُذَهَّب اللذين ألبسوه إياه، وعلم كيف ظنوا ما يمثله للشيخ.. لكن هذا ليس وقت إيضاح أيّ مُلابَسَات داخل المُلابَسَات المُسْبَقَة.. سيصير غُليم الشيخ..

كان أحد المُنَظِّمِين يصب الشاي في كوب نحاسي للجد.. حين مال عليه (خليفة):

- تكفي يا شيخ.. ودي طلب عندك..

هز الجد رأسه موافقًا.. فأكمل (خليفة):

- ودي تخلي غُليمك يرقصلنا شوي شكله دقاق وماهر..

هَزَّ الجد رأسه موافقًا ثانية.. والتف لـ(شادي) ومال عليه وقال بصوت خفيض بعد أن نظر يمنة ويسرى وهو يتماسك عن الضحك:

- قوم ارقص.. ما تبصليش وقوم ارقص..

وقام (شادي) ولا يعلم من أين أتى هذا الحزام الذي التف حول وسطه.. ومجموعة من الملثمين يحملون الدفوف ويغنون "الليلة الليلة الليلية الليلة ليلة مؤمنين.. والفرحة الليلة الليلة الليلة فرحة مجاهدين" ووسط ذلك صاح (خليفة):

- وين العروس؟

وانخفضت الشمس وهجم الظلام عندما دخلت تلك البارجة الحربية السوداء.. جلست البارجة جوار والدها.. فمال على الجد:

- شن هنيه يا شيخ.. عانييه..

قالها بابتسامة.. الجد لم يفهم لكن ترقب نظراته جعلته يظهر وكأنه سَيُرِى الشيخ مفاجأة عظيمة هنا.. ورفع الغطاء قليلًا عن وجه (زليخة) ليتضح وجهها.. حسنًا (زليخة) تشبه والدها هذا واضح لكنها تختلف عنه أيضًا فهي ليس لها ذقن ووالدها ليس له شارب! أخفض الغطاء حين قالت (زليخة) بحرج:

- أبياه..

واتسعت ابتسامته وهو ينظر للجد:

- أيش قولك؟

حالة الصدمة جعلت الجد يهز رأسه موافقًا مرة أخرى وانطلقت زغاريد من مكانٍ ما.. وأصوات طلقات نارية فَرِحَة.. الأمور تجري بسرعة هنا.. وربما بعد ربع ساعة ستكون (زليخة) قد أنجبت.. الفرحة اشتعلت أكثر وأصوات الدفوف وكان وسط (شادي) يحاول أن يجاري هذا الإشتعال..

مال (خليفة) على الجد:

- والله يا شيخ نهار اهنيه.. كان واد عمها يموت عليها وزاط عندهي بس نحرناه..

قالها (خليفة) وهو يشير إلى جمجمة معلقة على أحد الجذوع ثم أكمل:

- ما في حب قبل العرس إنت رجال تعرف الأصول والدين.. يا شيخ.. يا شيخ..

واحتضنه وَقَبَّلَهُ عدة مرات.. ابتلع الجد ريقه ثم قام وحاول أن يبدو جادًا فصيحًا. ولكن لا يجد ما يقوله هو فقط يريد الخروج من هنا مصير ابن عم (زليخة) لم يكن مصيرًا جيدًا:

- سأذهب لدورة المياه.. هل تريد شيئًا من هناك؟

- أضحك الله سنك يا شيخ.. بدك حد من الورعان يدلك ع الخلا..

- لا.. سيأتي الغليم معي..

انتبه (شادي) لإشارة جده.. ورحل خلفه.. ما أن خرجا من الخيمة.. حتى قال الجد:

- احنا لازم نهرب من هنا بسرعة.. هنطلع ع العربية ونمشي على طول.. لو حد قابلنا قبل ما نوصل إحنا بنجيب أي حاجة من العربية.. فاهمني؟ أنا اللي هسوق.. فين المفاتيح؟؟

قالها الجد وهو ينظر لـ(شادي) بعد أن تحمس جيوبه هو الآخر.. وكانا قد وصلا للعربة.. وقبل أن يرد (شادي) أو الجد.. سمعوا صوت (خليفة):

- ارعه اللي بتنغرب عليه.. ودك تهج يا شيخ؟

وكان يمسك (خليفة) بالمفتاح وخلفه خمسة ملثمين كاملي العتاد..

***

(شادي) وجده كانا مُقَيَّدَانِ الآن.. المفاتيح كانت في الملابس التي غَيَّرُوهَا.. و(خليفة) علم أنهم مدعين لقد اتصل به الشيخ الحقيقي ليخبره أنهم سيتأخرا قليلًا.. لكن هذان الرجلان عرفا مكاننا وكذبوا والأسوأ أن أحدهم قد رأى (زليخة) قبل العُرس.. قال (خليفة) وهو يجيء ويذهب أمامه وهو يعبث في ذقنه ثم وقف أمام الجد وصرخ في وجهه وهو يمد سبابته أمامه:

- تبرق من جبله.. ميوقع إنت.. إنت.. إنت أمهري يا رجل.. أمهري.. ولا غفران لك إلا النحر.. أما الورع..

والتفت لشادي:

- بِنْدَكّ من فوق الجبل..

"تبًا.. سيدكوني!" الفكرة التي طرأت برأس (شادي) جعلت الدموع تتجمع حول عينيه.. في نفس الوقت كان الجد يهتم بأمر الوِثَاق.. كان يعرف كيف يتعامل في موقف مُمَاثِل.. الحبال كانت مربوطة بطريقة غير احترافية أصلًا.. سيخاطر مخاطرة تحمل الموت وفي نفس الوقت تحمل النجاة.. أفضل من الإستكانة والاستسلام لموتٍ مُحَقَّق.. وفي لحظة وقف الجد وهو يجري واندفع نحو أحد الملثمين وأسقطه أرضًا، واستل سلاحه، ووجهه نحو (خليفة) :

- بص يا شيخ خليفة..خلينا كلنا نطلع من الموقف ده من غير أيّ خسايِر.. المفتاح تديه لشادي.. يدور العربية.. نركب.. نمشي.. واحنا ما شوفناش بعض..

وَجْه (خليفة) الآن يصلح تمامًا أن يوضع في القاموس بجوار كلمة (مات غيظًا).. وأشار الجد لأحد الملثمين:

- فُكّلُه الحبل.. خَلّص..

نظر الملثم لـ(خليفة) الّذي أومأ له ليفعل.. (شادي) يأخذ المفتاح ويتوجه للسيارة.. والجد يقلب وجهة حركته للسيارة مع إبقاء توجيه السلاح تجاه (خليفة)..

- مش محتاج أقولك لو حد جه ورانا هيحصل فيه أيه..

كان تهديدًا خائبًا هو يعلم، ولكن ربما يأتي بنتيجة.. يرجع خطوات للخلف.. حين تقدم (خليفة) خطوة تجاهه..

- شِنّ عليه يا مبوقع.. بورالي إنك الخائف مب أنا..

- لو خدت خطوة تانية هفتح النار..

قاطعه (خليفة) :

- أقطع وأخس يا مخزي.. إضرب لو فيك رجولة..

وضغط الجد الزناد.. في نفس الوقت كان (شادي) يدير مفتاح السيارة.. التوتر جعل المفتاح يسقط من يده أسفل الكرسي.. مد يده.. للداخل أبعد.. أبعد.. وأصطدمت يده بشيءٍ غير المفتاح..

عندما ضغط الجد الزناد.. لم يطلق الرصاص.. ضغط عدة مرات.. سحب الأجزاء.. لا شيء.. وضحك (خليفة) :

- بدك تقالي يا مبوقع! وهنيه! مجنون إنت والله.. مجنون..

خرج (شادي) من السيارة يحمل ما وجده أمامه.. كان مسدس (بيريتا).. التوتر يتملكه، ولكنه قرر أن يكون فَعّال.. هل سيعتمد دومًا على جده أن يكون هو من ينقذه.. وقبل أن يتكلم (شادي) صاح خليفة وعدد من الموجودين:

- مسدس حقيقي يا جماعة.. مسدس حقيقي..

***

(20)

يجلس (شادي) الآن بجوار جده بعد أن تم تهدئتهم .و(خليفة) أيضًا بجوارهم بعد أن نزع ذقنه ومسح بعض المكياج وعدد من الملثمين أيضًا كشفوا عن وجوههم.. وأمامهم عدد من الكاميرات يقف خلفها مسئولو إنتاج البرنامج والمخرج.. وقال (خليفة) أو الذي كان (خليفة) :

- هو ده اللي عايزين نقوله من البرنامج.. إن مهما كان إحنا أقوى من الإرهاب.. وبلدنا رجالة.. شباب.. ستات.. عواجيز.. رجالة.. رجالة ما يقفش قدامها أي حد.. إحنا ضغطنا عليهم أنا عارف.. بس هما خلاص مش زعلانين مني.. مش كده؟ ونشوفكو في حلقة جديدة من برنامج (داعش ومش داعش).. وكل سنة وانتوا طيبين.. ورمضان كريم..

***

كان الليل قد بدأ في الحلول عندما كانت السيارة تخرج من الصحراء.. (شادي) كل فترة يتذكر شيئًا ما مما حدث ويضحك.. فقال جده:

- ما خلاص بقى يله.. مش عايزين نتكلم في اللي حصل ده تاني..

- ليه يا جدو؟! دا إنت عملت أحلى أداء والله أنا كل اللي عملته إني قعدت أرقص..

وضحك ثانية..

- في حاجة أهم لازم نفكر فيها.. المسدس ده كان بيعمل إيه في العربية؟

- مش عارف بس زي ما شفت هو ما فيهوش رصاص.. يعني لو بتاعنا فاحنا ما إستخدمناهوش أصلًا..

- وممكن نكون خلصنا الرصاص اللي فيه..

الفرض الأخير بَثَّ القلق داخل السيارة.. أما ما جعل القلق يفور.. فهو ذلك الكمين الذي يقتربان منه..

طالع الأمين أرقام السيارة وقارن مع الأرقام في ورقة معه.. طلب الرخص ثم أشار إلى السيارة أن تركن إلى الجانب الأيمن..

القلق ولا شيء إلا القلق.. زحزح الجد قدميه لتوله قليلًا، ووضع المسدس بهدوء أسفل كرسيه.. هل يهربان الآن؟ ربما لا يكونا مطلوبان أصلًا ويتكفلا فقط بإدخال أنفسهم في مشكلة جديدة.. سينتظرا وستتضح الأمور..

اقترب الأمين من السيارة.. لاحظ الستيكر في الخلف.. تعجب، ولكنه غير مهم الآن.. مال على شباك السيارة..

- رخص العربية مش بإسمك.. يا..

ينظر في الرخصة ويكمل:

- شادي..

- آه.. العربية متأجرة.. العقد أهو..

لا تفعلها أيها العقد اللعين ولا تكن في التابلوه.. هكذا فكر (شادي) وهو يعبث في التابلوه، وكان موجودًا من حسن الحظ.. طالع الأمين العقد بدون اهتمام حقيقي..

- ومعدي السرعة ليه يا (شادي)؟

حسنًا يبدو أننا نجونا ولم نفعل ما يجعل أرقام سيارتنا مهمة غير تجاوز السرعة..

- معلش يا باشا الطريق كان فاضي فسرحت شوية..

- بس الردار ما بيسرحش يا شادي.. والمخالفة بـ150 جنيه.. وعندك فاميه وأمن ومتانة نقول 300..

تدخل الجد:

- أمن ومتانة من غير المهندس؟!

- والله يا حاج لو عايزنا نطلع ع القسم المهندس يشوفها ماشي.. بس هتدفع أكتر شوية وهتتعطل شوبتين.. وأنا عايز أجيب معاك من الآخر وأديك عرض دخول الصيف..

كان (شادي) يريد أن يعرف جده باللواء لعل هذا ينجيهم من كل هذا ولكنه صمت لصمت جده.. المبلغ موجود من حسن الحظ فغالبًا هنا لا يتعاملون بالفيزا كارد..

وانطلقا.. حسن الحظ يَمُنُّ عليهم أخيرًا..

اليوم سيبيتا في أوتيل حجزه (شادي) بالتليفون.. الأوتيل يُعَدُّ واحدًا من أحلام الجد بشكلٍ ما.. عندما سيصلا سيتصل بالرقم الَّذي كان مكتوبًا على الورقة ليعلم ماذا يفعلان تحديدًا في (مارينا)..

يعبران البوابات.. ويدخلان إلى (مارينا).. (مارينا) والتي تعني حوض رسو السفن.. حوض رست فيه السفن من العصور الرومانية وربما من الفرعونية، والآن يستعدان للرسو فيه ضمن مسار رحلة الـ100 حلم..

***

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

(21)

اليوم العالمي لتحقيق الأحلام (نسخة مارينا)..

في الصباح بعدما استقلا السيارة التي أحضرها عامل الفندق أمام باب الأوتيل وفتح لهم بابها.. سأل (شادي) جده:

- نمت كويس؟

- أنا مُتّ .. لو كنت سيبتني شوية كمان كنت إتحللت..

أخرج شادي الورقة وشطب..

~~"بحلم أن أحضن بنوم مريح خالي من أي قلق"~~

ثم انطلق بالسيارة إلى Pearl Island.. أشار إلى المدخل ثم قال للجد:

- ده المكان اللي كان مكتوب رقم تليفونه.. لما دورت عليه على النت عرفت إنه المكان الوحيد في مصر لحد دلوقت اللي هيخليك تحقق حلمك..

- حلم أيه؟

- هتعرف دلوقت..

يمتطي كلًا منهم ماكينة الـ(Jetovator) متصلة بدراجة نارية بحرية التي تضخ فيها المياه لترتفع لأعلى وتمنح حلم الطيران.. واحد من أوائل أحلام

البشر.. ثلث ساعة من الصعود والتحكم والسقوط في المياه ثم اختراقها كالدلافين صاعدًا مرة أخرى لأعلى طائرًا.. ثلث ساعة من الحياة..

~~"بحلم أن أطير"~~

كان بعدها نص ساعة أخرى مع الغطس.. قبلها كانت هناك مجموعة من إرشادات الغطاس (كابتن/فهمي النيمو) التي لم يركز (شادي) فيها كثيرًا.. ارتداء الأدوات.. ثم الغطس..

صمت مختلف.. صمت ينبض بالحياة.. أنت ترى حياة أخرى بقوانين مختلفة.. حياة تجعلك تكتشف أنك مجرد جزء من هذا الكوكب.. لا تسيطر عليه كاملًا مهما ظننت.. هناك حيوات أخرى تعيش هنا.. حيوات أكثر جمالًا ومشاهدتها تجعلك تدرك أنك لم ترى شيئًا بعد.. الإعجاز هو الوصف المناسب..

أشار (النيمو) إلى (شادي) والجد بإبهام وسبابة يصنعان دائرة.. والتي تعني (هل كل الأمور على ما يرام؟) فرد الجد بذات الإشارة كما أوضح في التعليمات.. أما (شادي) فرفع إبهامه لأعلى بعلامة الجودة.. علامة الجودة في هذا العالم تعني (لأعلى) وهو الفرق الّذي لم يعرفه (شادي) إلا عندما وجد الغواص يشده بقوة ويسحبه لأعلى.. موقف ومر لقد مررنا بالأسوء هنا هكذا فكر (شادي) وهو يبتسم ويشطب..

~~"بحلم أن أرى معجزة بحياتي"~~

كان بعدها ثلث ساعة أخرى مع الجاكوزي.. ثم الإستلقاء على البطن على سرير رفيع في انتظار المساج.. قال الجد وهو يوجه رأسه إلى جانب سرير (شادي):

- النهارده يا شادي حاسس بشعور غريب شوية.. تقريبًا مرحلة مختلفة من السعادة.. حسيت رغم إنك وسخ يعني.. إني لازم أشكرك..

- ولسه هتشكرني لما تيجي المرَّة تدلكك يا جدو..

قالها (شادي) وهو يغمز بعينه.. ثم نظر خلف جده يُطالِع من أتى وضحك فالتفت الجد تجاه نظر شادي.. ليجد تلك العجوز الآسيوية.. تمسك زجاجة زيت المساج.. وتستعد لوضع قطرات من السائل الأصفر المائل للإخضرار على ظهره.. فعاد الجد بوجهه تجاه شادي بنظرة تقول "نقيت فيها" ثم انفجر الجد ضاحكًا.. فالتفت (شادي) لاتجاه نظر الجد ليجد ذلك الرجل العجوز الآسيوي يحمل زجاجة الزيت.. فعاد بنظره للجد وكُلًا منهما يتماسك عن الضحك..

~~"بحلم بتجربة مشاعر جديدة"~~

كان الجد بعد أن انتهى من الغذاء يجلس على أحد القوالب الطافية لتصنع ما يشبه الطريق فوق الماء.. اقترب منه (شادي) بعد أن كان قد تأخر قليلًا عنه.. وما أن رآه الجد حتى ضحك مرة أخرى.. فقال (شادي) وهو يجلس جواره:

- إنت لسه بتضحك! طب بص بقى لو عايزني ما أجيبش سيرة اللي حصل في الصحراء تاني ما تجيبش سيرة اللي حصل في المساج.. آه.. أنا بصيت على الحاجات اللي في العربية.. وعرفت من ورقة الأحلام إحنا كنا جايبينها ليه..

وأمسك (شادي) بالقوقعة وأكمل:

- مش إنت بتحب إسكندرية؟ أهي القوقعة دي غالبًا من بحر أسكندرية.. كل ما هتحطها على ودانك هتسمع صوت بحر إسكندرية وهتاخدك عنده.. إسكندرية هتبقى معاك على طول..

- أنت بتتفلسف عليا يله! ماشي.. هعديهالك..

~~"بحلم أن تكون الأماكن التي أحبها بجواري دائمًا"~~

- طيب.. كمان في حلم عن التقدير..

- آه.. فاكره ده.. ده كان حلم إسماعيل ياسين برضه.. كان بيحلم أنه يتم تقديره قبل الموت.. والتقدير الوحيد اللي خده إن الضرايب خلته يبيع كل حاجه ويرجع زي ما بدأ.. وقبل ما السادات يكرمه فعلًا كان مات.. غير (سمعة) في كتير أصلًا ميعرفوش إن اللي عملوه كان مهم ووصل للناس.. يعني في مُصَوّرَة إسمها (فيفيان) كانت بتشتغل خدامة ولما ماتت وكاميرتها اتباعت في مزاد اكتشفوا إن كان في مبدعة هنا محدش خد باله منها.. في كمان مغني أسمه (رودريجيز) معرفش إن اللي بيعمله ليه لازمة إلا متأخر.. وغيرهم كتير ما نعرفهمش حتى..

- طيب النهاردة أنا هكرمك.. مش أنت عديت الـ75.. يبقى مبروك عليك اليوبيل الماسي..

وناوله درع مكتوب عليه "اليوبيل الماسي" السيد الفائز يحب يقول أيه بمناسبة إنه قدر يكمل 75 سنة في الحياة؟

- أبو شكلك..

- نشكر السيد الفائز على الكلمة.. ونحب نقوله ياريت يستعد علشان هنسافر علشان في أحلام مش هينفع نعملها إلا هناك..

- السيد الفائز عايز يرجع إسكندرية الأول..

- إسكندرية!! ليه؟؟

***

(22)

أقنع الجد (شادي) بالعودة.. هناك أمور يجب أن تغلق، وهو يملك خطة.. طريق العودة اشتمل على حوارات عدة وحكى الجد الكثير واستمع (شادي) للنهاية.. آخر حكاياته كانت عن (نجيب محفوظ) وعاد إلى زلزال 92..

- لما سألوا نجيب هو حمى بأيه وقت الزلزال.. قالهم كنت مستني السقف يقع وألاقي برلنتي عبد الحميد في حجري.. ماهي كانت ساكنة فوقه في العمارة..

وأكمل بالحكاية التي كررها (فريد شوقي) كثيرًا:

- عارف فيلم (جعلوني مجرمًا) الفيلم ده كان سبب إن الحكومة تصدر قانون يعفيه من السابقة الأولى في الصحيفة الجنائية علشان ما يبقوش جعلوه مجرمًا.. المهم إنهم جابوا نجيب يكتب حواره ويظبط السيناريو.. وإدوله 100 جنيه بالتقسيط.. بس بعد ما خلصوا الكتابة رجع الـ100 جنيه تاني مع إنه كان محتاجها، وقالهم إن أنا إتعلمت السيناريو منكم ودي أجرة التعليم.. فريد حكاها كتير يعني أنه صاحب فضل على نجيب واتعلم منه وكده.. لما نجيب خد نوبل.. واتعمل حفلة بعدها علشان ياخد قلادة النيل.. كان في ضيوف كتير سياسيين بقى وإعلاميين وممثلين وأنا كنت موجود وسط العك ده.. وكان من ضمن الموجودين كمان فريد

شوقي.. نجيب وهو بيسلم عليه راح مميل على ودانه وقاله حاجة في ودنه.. فريد قعد يضحك بعدها عشر دقايق.. لما سألت نجيب أنت قولتله أيه؟ قالي شتمته بالأم..

صمت قليلًا ثم بدأ يعري:

- السياسة لعبة.. لعبة علشان تفرض نظام على شكل حياة الناس.. النظام مش غلط بس عمره ما بيكون عادل.. لأن اللي مسئولين عن السياسة دايمًا بيخلوا عدوهم هو عدو الدولة.. اللي بيوقف مصالحهم يبقى عدو الدولة والدولة كلها لازم تحاربهم.. وبيدخلوا الناس اللي هما مفروض مسئولين عن تنظيمهم جزء من الحرب دي.. أول ما ده يحصل يبقى النظام بايظ وغالبًا ده الليبيحصل.. ولازم يفضل النظام بايظ ولازم الشعوب تفضل حاسة بنقص.. نقص بيكبر ويكبر لحد ما النظام نفسه ياكل نفسه ويقع.. لكن الناس محتاجة النظام.. الناس بشكلٍ ما بيعملوا اللي النظام عايزه فبيعتبروا نفسهم جزء منه، ودي أكتر حاجة تحير.. فبيرجع بمنطق إنه رجع علشانهم.. لكنه أصلًا لازم يرجع علشان مصالحه.. وأه أعداء النظام برضه بيدوروا على مصالحهم.. الناس كده كده ملهاش في اللعبة دي..

يسكب الجاز:

- الإعلام طبعًا جزء من الدولة زيه زي الدين والقضاء.. الحاجات دي هي اللي مقومة الدولة.. بمناسبة الإعلام الناس مش قادرة تفهم إن الإعلام ده كله معمول علشان المتعة.. مفيش حاجة اسمها إعلام هادف فن هادف هبل هادف.. في حاجة اسمها بيجيب فلوس ولا لأ؟ بيجيب إعلانات ولا لأ؟

صناعة الإعلانات لو وقعت الإعلام كله هيقع تاني يوم.. إعلام الدولة اللي معمول مخصوص علشان يوصل الصورة اللي دولة عايزة توصلها وعلشان كده الدولة متفضل تدفع فيه فلوس مهما خسر..

يشعل:

- إنما القضاء المفروض يبقى برة اللعبة دي خالص.. فالحقيقة الواضحة إن في ناس بيحاولوا يزقوه جوه الماتش.. ومش عايزينه حتى يبقى لعيب إنما عايزينه يبقى الكورة.. وعمر ما في كورة هتمشي زي ما هي عايزة، وفي كام رجل وسخة بيشوطوا فيها.. ده إن أصلًا الكورة ما اتوسختش منهم.. ولو القضاء بقى كورة يبقى البلد كلها لبست الفورة..

يسكب المزيد:

- الدين.. كل مؤسسة دينية عايزة اللي تبعها يفضلوا تحتها ميخرجوش منها إلا للموت.. يفضلوا محتاجينها دايمًا عايزينها.. يخلوا الدين أصعب.. يخلوه يدخل في كل حاجة طالما في حدود قوانين اللعبة.. بص كده على المؤسسات الدينية هتلاقيهم كلهم بيأيدوا النظام..

يحرق:

- والناس ترجع تقولك المؤامرة.. وأكيد مؤامرة لأن ليه البلد مش قادرة تاخد خطوة لقدام؟ لأن البلد بكل مؤسساتها مش فاضية.. المؤامرة إنك تقنع الناس إن عليهم مؤامرة علشان ميخرجوش عن نظامك..

يصمت ويعود:

- فاكر لما سألت (التباع) احنا عايشين ليه؟ عجبتني إجابته.. إجابة حقيقية بتدور حولين نفسه مش أكتر.. المشكلة إن احنا مقتنعين دايمًا إن احنا أكبر من اللازم.. ومش قادرين نفهم إن احنا كلنا تافهين ملناش قيمة وسط الكون ده كله.. احنا كلنا منكملش نقطة في بحر.. ممكن كل حياتنا دي بعد ما تختفي ما تكونش سطر في كتاب هيختفي برضه.. اللي أقدر أقوله النهارده إن هدفي في الحياة ببساطة إني أعيش مبسوط..

~~"بعلم أن أعلم فعلًا الهدف من الحياة"~~

يعود ويصمت:

- كلنا مقتنعين إن إحنا معانا الحقيقة اللي ممكن نموت أي حد عشانها.. كلنا مقتنعين إن إحنا صح والباقي كله غلط علشان ماوصلش لنفس الحقيقة اللي وصلنالها أصلًا بصدفة إن إحنا إتولدتنا في ظروف وصلتنا لها.. يمكن اللي بفكر فيه دلوقتي وواضح ليا جدًا.. إن الحقيقة مفيش حقيقة.. يمكن دي الحقيقة الوحيدة..

~~"بعلم أن أصل للحقيقة"~~

***

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

جراج الاكس.. مرة أخرى..

لماذا عادا؟ (شادي) لم يعلم، ولم يعلم لماذا توجها للبنك لسحب أموال احتاجت لشراء حقيبة سفر سوداء.. ولا لماذا ترك الجد السيارة وحده ثم عاد.. هو يعلم فقط الآن لماذا اشترى اللصق الأبيض.. المهم أن الجد يملك خطة.. هكذا كرر وقرر..

المسيخ الدجال مرة أخرى..

الجراج هادئ في هذا الوقت إلا من بعض المستلقين.. و(سايكو) يلعب البلاي ستيشن مع تلك البضبة الملبنية.. وما إن رآهم حتى قام من مكانه:

- أوباااظ.. شيتوس الوحش.. سكة وطريق إنني يا زينات..

لوت (زينات) شفتاها التي تستحق الأكل وهي تنظر للقادمين ورحلت.. فأكمل (سايكو) وهو يشير ناحيتها:

- زينات بتاعت العاجات.. حنينة وبنت ناس وسخين.. والأوضة لمسه فاضية للإيجار.. بس أيه صحيح اللي عملتوه في بَكُّورَة ده!! دا إنت طلعت خطِر يا شيتوس.. ربنا يجعلنا براغيت في لباسك..

"حسنًا.. ما الّذي فعلناه في بَكُّورَة؟" كان السؤال أعلاهم داخل سحابة..

- ده إنتوا مش بس حرقتوله الورشة اللي بيفكك فيها العربيات اللي مقلها، ومبقاش حيلته إلا حتة الرانجلر المفستكة.. ده أنتو حرقتوا ورقة إعتماده الوظيفي في عالم الإجرام.. عيل هتية وعاملي عصابة.. يستاهل كل خير والله..

الحرق.. يذكر (شادي) بإحدى الأمنيات التي لم يكونا موجودان حين نفذت.. يكمل (سايكو) وهو يحقن نفسه بحقنة فيتامينات..

- بكورة كان فاهم إنك مخاوي.. لغاية ما الشيخ ظهر..

قالها وهو يشير للجد..

- أنت جبتهم على مخ الواد يا شيتوس.. وهو الصراحة محلفني لو جيت هنا تاني أكمرك لحد ما يبجي.. واللي هيحصل دلوقت إني هقول لـ(هالك) يقفل الباب..

التفت الجد و(شادي) تجاه الباب المغلق مسبقًا.. كيف سيهربا من هنا؟ القلق يعود بقوة و..

ضربة الكتف اللعينة.. كيف نسى أمرها؟؟

- بهزر معاك.. إلا الغدر يا صاحبي.. أومال نسيب إيه للعالم الوسخة..

- المهم..

كانت من الجد الّذي أردف:

- احنا عايزين طربتين حشيش..

- طربتين مرة واحدة!! أيه هتشتغلوا موردين الأستفة في مصر!! بس دي سعرها غالي شويتين يا شيخ..

رفع الجد الحقيبة وفتحها.. وما أن رأى (سايكو) كتل النقود صفق بكلتا يديه:

- اللهم صلي على كامل الدسم..

تبادلا النقود والطربتين المدموغتان بصورة مدحت صالح مكتوب أسفلها "كوكب تاني".. كان شادي يتسائل داخله عما يفعله جده هنا.. حين كان الجد يسأل:

- احنا لو طلعنا ع الصحراوي كمان شوية نعدي بيهم إزاي؟

- الشلتة هي الحل.. أرزعهم في الشلتة.. وقول اللهم أجعل من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا.. وتشد على مصر شدًا.. بس ممكن أول ما تطلعوا من هنا أكلم بكورة وأقوله.. والحاجة هترجعلي قبل ما أخش أبل القرموط مع زينات..

هذه المرة كانت خبطة الكتف من نصيب الجد:

- بهزر معاك يا شيخ.. ما أنا قايلك الغدر مش بتاعنا.. هالك إفتحلهم الباب..

ما أن أغلق المسيخ الدجال الباب خلفهم حتى مال الجد على أذن (شادي):

- هيغدر بينا..

تابعهم (سايكو) بعينه حتى خرجا ثم رفع الموبايل على أذنه بعد أن ضغط على شاشته عدة ضغطات:

- حبايبك طالعين ع الصحراوي كمان سيكا.. الحاجة اللي معاهم بتاعتي.. هما والعربية قشرهم والبسهم.. آمين؟

- آمين يا بروفيشنال.. هي حمراء بجناحات بروفيشنال ولا لعب فيها تاني؟

مرر (سايكو) السؤال لـ(هالك) ثم مرر الإجابة لـ(بكورة)، وأنهى المكالمة وزفر ببعض الضيق.. فالغدر يعد من محظوراته.. ولكنها (الدولارات الّتي تبيح المحظورات) مرة أخرى.. ثم صاح بصوتٍ عالٍ:

- زينات يا نجسة.. خشي شطفي وتعالي علشان نحط القرد في الجراب الجلد..

***

إسكندرية الصحراوي..

(شادي) لا يعرف شيء عن الخطة غير إنهم يحملا ما يكفل لهم سنوات في السجن.. ولم يكن يعرف أن توقفهم عند محل موبايلات لشراء عدة وخط يفعل أثناء الوقوف هو جزء أيضًا من الخطة..

في طريقهم على الصحراوي طلب الجد من (شادي) أن يقوم بالبحث على الإنترنت عن السيارات الرانجلر.. قلب في الصور حتى وجدها..

- زي دي بس على أزرق.. أول ما تعدي عليك أديني رنة.. مش أنت خدت الرقم برضه؟

- آه.. بس يا جـ..

- ما بسش.. مش أنت كل شوية تقولي ثق فيا.. أنا بقولك المرة دي ثق فيا..

وقف (شادي) منحنيًا خلف السور الأسمنتي لا يفهم شيئًا يراقب الطريق منتظرًا تلك الرانجلر.. الجد توقف بعد حوالي كيلو.. مسح أي أثر للبصمات محتملة على طربتي الحشيش.. والمسدس أيضًا الّذي كان سينسى أمره.. ثم قام بتنفيذ الجزء المهم من الخطة..ضبط العكاز ليثبت المقود ويضغط البنزين.. والفتيس على 1 الّذي يعطي للسيارة عزم ويجعلها أبطأ.. السيارة تريد الإنطلاق لا بجمع رغبة إنطلاقها إلا فرامل اليد المرفوعة.. المهم ألا ينهار المحرك قبل الـ. رنة الموبايل..

يخرج الجد من السيارة ويمد يده ليخفض الفرامل.. ويبتعد قبل أن تؤخذه السيارة في طريقها.. ويختفي خلف السور ويتصل بـ(شادي) لينقابلا.. أما (بَكُّورَة) فعندما رأى السيارة ابتسم ابتسامة تحمل الكثير من الشر.. وكان بجواره (خَلُّودَة) و(مَشُّومَة) اللذان هللا.. وانفلتت من (بَكُّورَة) ضحكة شر تمادى فيها وضغط البنزين.. عندما رأى السيارة لا يقودها أحد..

- مش قولتلكو إنه مخاوي جن بروفيشنال محدش صدقني.. علشان تعرفوا مين بس اللي بروفيشنال..

لا يهم الآن الأشخاص.. سيدعون أنهم قتلوهم، ولكن رجوعهم بالسيارة هو المفتاح الوحيد لهم للعودة لعالم الإجرام مرة أخرى بعد حرق الورشة وسرقة المسدس الثمين الّذي كان اشتراه (بَكُورَة) بالدين بديلًا عن الفرد التالف.. واصطدم بالسيارة ليدفعها إلى السور .. ثم يميل لليسار ويذيقها دفعة مستمرة لينطلق شرار الإحتكاك حتى توقفت.. لم يفهم فكرة العكاز ولم يفهموا.. إنه الجن بالتأكيد.. يصلا بين السيارتين بذلك الحبل.. فالهيونداي لن تقبل القيادة بعد تلك الصدمة.. يركب الثلاثة كما كانوا في الرانجلر. و(بَكُورَة) يغني على لحن أغنية (شنكوتي) مع تغيير كلماتها لتعبر عن الحالة:

- اللي يسرق العربية.. بكل شقاوة وبروفيشالنية.. يبقى الواد ده أيه؟

فيرد عليه (خَلُّوتَة) و (هَشُّومَة) وهما يصفقان:

-بروفيشنا!!!!..

استمرا في الغناء تتملكهم فرحة أكبر من فرحة أب من العصر الحجري عاد لأولاده بغزالة.. فرحة ستنتهي قريبًا جدًا قبل أن يقشروه ويلبسوه للنهاية..

أما (عَلُّوقَة) فسيحمد ربه كثيرًا أنه لم يكن موجود هنا، وسيتوب وسيتوجه للعمل على مشروع خط المنشية عصافرة..

~~"بحلم أن أعتاد على عدم التفريط في حتي بسهولة"~~

***

- ياض كمل مشي لقدام.. آه زي العربيات بس حاول تفضل مستخي ورا السور.. ممكن يكون متقبضش عليهم ويكونوا راجعين ع الناحية التانية ويشوفوك.. تعالى بس وهفهمك..

عندما وصل (شادي) كان جده مستلقي على الأرض وقد نزع رباطه الضاغط.. ووضعت قدمه التي أخذت درجه من درجات البنفسجي.. جلس (شادي) بجواره وبدأ الجد شرحه..

الوقت الّذي طلب فيه الجد من (شادي) الإنتظار في أحد الشوارع الجانبية وأن يشتري لصق أبيض حتى يعود.. كان الجد داخل مديرية أمن الإسكندرية التي تقع على بعد شارع من موقع (شادي).. وفي قسم مكافحة سرقة السيارات أبلغ عن سيارته التي سرقت بالقرب من الصحراوي.. وألح لكونه رجل يجب أن يهتم بأمره، وذكر عدد من أسماء الشخصيات الهامة ليجذب اهتمامهم، ويتم تفعيل أمر البحث عن السيارة بالفعل.. وأوضح أكثر من مرة أنه يجب إرسال بلاغ لبوابات الإسكندرية والقاهرة بالذات.. وكان الرد:

- ما تقلقش يا فندم.. إحنا عارفين شغلنا كويس.. حضرتك قولتلي أنت تعرف (الصفتي) باشا منين؟

اللصق الأبيض كان لتتلاعب بأرقام وحروف لوحة السيارة .. كإخفاء نقطة أو طمس جزء من رقم.. لكيلا يتم التعرف على أرقام السيارة وهم بداخلها.. وقبل أن يخفض الفرامل قام بترع اللصقات..

- يابن اللعيبة يا جدو.. هو حماده هيفشخني.. بس إنت ابن لعيبة..

واحتضن جده.. فتمنع الجد ودفعه كعادته وهو يقول:

- المهم هنطلع من هنا إزاي..

بعد مرور بعض الوقت.. يقف (شادي) مثبتًا يده يشير لكل السيارات المارة بعد أن قام بالإتصال بعدة شركات لتأجير السيارات لم يلبوا طلبه.. الصحراوي ليس آمنًا هذه الأيام حتى يرسل له سيارة بسائقها لزبون يتعامل معهم لأول مرة.. ربما هذه طريقة جديدة للسرقة..

قال الجد وهو يستند للسور:

- شكلنا هنبات هنا يا فقر..

وقبل أن يكمل جملته هلت مجموعة أنوار متباطئة..

***

كانت الأنوار لمجموعة يمتطون موتوسيكلات الـ(Chopper) وعلى ظهر أغلبهم تقبع جيتارات كهربية.. يرتدون جواكيت جلدية سوداء ذات دائرة معدنية على الأيسر حفر فيها لوجو يتكون من حرفي (PB) إختصارًا لإسم فرقتهم (Punk Band)، ومن بين قفازتهم الجلدية الغير كاملة تظهر الأصابع

الموشومة والمطلي بعض أظافرها بالأسود.. كما ظهرت وجوههم بعد أن خلعوا خوذاتهم لتظهر مجموعة من الذقون المدببة التي تختلف غرابتها كاختلاف حلقات رؤوسهم.. بالإضافة إلى الآذان والأنوف المحتوية على حلقات تمنحها فتحات دائرية والأعين الكحيلة التي تبث بعض الخوف..

ونزعت هي خوذتها لتجعل الوقت يمر ببطء..

أعينها أعطاها الكحل بُعْدًا آخرًا لا يكمله إلى طلاء شفاهها الغامق المثقوبة بحلية لامعة مع قصة شعر قصيرة غير متساوية.. لو تم اتخاذ أبعادها لأعطت النسبة الذهبية.. إنها من أضافت صفحة لعلم الجمال لم يكتب فيها إلا "الجمال لا يملك صورة واحدة"..

وكان واضحًا أن هي من أوقفت المجموعة عندما رفعت يدها لأعلى وقبضتها.. لتهدئ العجلات وتبقي المحركات على هديرها المتقاطع المستمر.. تأملتهم وكأنها تنتظر منهم إجابة لشيءما ثم قال:

- محتاجين توصيلة؟

- أيه!! آه.. آه..

(ماذا نريد غير توصيلة؟) كان هذا واضحًا عليهم.. فصاحت وهي ترفع يدها:

- بانك باند هتوصلكم..

فصاحت باقي المجموعة وهم يرفعون أيديهم صيحة الهنود الحُمر.. حدث تعارف سريع للأسماء قبل الإنطلاق.. المجموعة لا تملك أسماءًا إنما ألقاب

أخذت من الطبيعة وكانت هي (روتس) والّتي تعني الجذور.. أما من جلس الجد خلفه فكان (إيفوري) والذي يعني العاج..

تمسك (شادي) بالجذور، وهو ينظر للجد نظرة قصد بها بعض من الكيد.. الهواء يمر على وجوههم ويتخللهم.. وتمسك (شادي) أكثر مع ازدياد السرعة.. أما الجد فكان يحاول الإختباء من الهواء أكثر خلف العاج..

هذا في الأعلى أما في الأسفل فكان رباط قدمه لم يستطع التماسك.. وبدأ يتفكك.. يتفكك.. يمر بين أسلاك الإطار الخلفي.. وأول ما لاحظ ما يجذب قدمه.. طرق على كتف (إيفوري) وقبل أن يبدأ سرعته بالكامل.. كان المونسيكل قد بدأ في الإختلال ولم يفهم ما حدث لكي يسقطا أرضًا ويتناثرا على الطريق..

ثبت الجد على وضعه مُرْغَمًا ينظر لأعلى.. ثم انخفض جفنيه بهدوء..

***

مستشفى النوبارية العام..

أمام غرفة الإستقبال كان (شادي) يجلس وحيدًا دافنًا يده بين كفيه.. بعد أن ودع الـ(PB) الّذين لم يتركوه حتى طمأنهم الدكتور بشكل مبدئي فصاحوا صيحتهم الهندية، وأعطوا (شادي) كارتًا ليطمئنهم فيما بعد.. كانوا ودودين وكان (إيفوري) يعتذر حتى بعد ما علم أنه لم يكن السبب.. و(شادي) كان يبادله الإعتذار.. العاج لم ينل من الحادث إلا قطع في بنطاله جعله يحب البنطال أكثر..

نقد (شادي) الممرض مبلغًا وهو يطلب منه الإهتمام وأن يسمح له بالدخول.. فرد الممرض وهو يضع المال في جيبه:

- ما تقلقش كده.. الوقعة ما كانتش جامدة.. هي بس الصدمة وشوية كدمات ورضوض مش أكتر.. هو بس إكمنه كبير شوية الحاجات دي بتاخد وقت.. استريح شوية أو إطلع إشربلك سيجارة يكون الدكتور خرج وهدخلك على طول..

خرج (شادي).. وجلس على سلالم المستشفى لا يعلم ما يفعله.. حتى أتى الممرض، وطرق على كتفه وأشار له إشارة بمعنى "يلا"..

جلس شادي بجوار العمود الّذي علقت عليه المحاليل.. وانثنى على يد جده قبلها بهدوء وظل ممسكًا بها وهو يردد:

- أنا آسف..

فتح الجد عينه وأمال رأسه ناحية (شادي) وقال بصوت مُتْعَب:

- آسف على أيه يا فقر؟

تجمعت دمعة على جانب عين (شادي) مسحها بسرعة وهو يقول:

- حاسس إن المسبب في اللي حصل؟ وإني عشان عايز أحققلك أحلامك كنت هـ..

صمت.. فأكمل الجد:

- هتموتني يعني!! أوعى تحس بكده مهما حصل.. أنا مش عيل صغير.. وبعدين هي دي أول مرة تكون هتموتني؟

إبتسما وسعل الجد ثم أكمل:

- وبعدين ما ينفعش أموت دلوقت.. لسه الـ100 حلم ما خلصوش..

وسالت دمعة على جانب عين (شادي) لم يمسحها.. ثم قال:

- هو بس أنا عملت حاجة ممكن تضايقك.. أنا فعلًا مكنتش عارف أعمل أيه.. فاتصلت بيهم في البيت وزمانهم جايين دلوقت..

- يعني علشان مموتش في الحادثة فهتموتني بالجلطة! طيب خليني قبل ما أموت أحكيلك حكايتي.. مش إنت كنت عايز تعرفها..

رد (شادي) بصدق:

- لا خلاص يا جدو.. ما بقتش عايز أعرف..

- خليني برضه أحكيلك.. أنا كنت وعدتك إني هحكيلك لو ما وجعتش دماغي.. هو أي نعم دماغي وجعاني دلوقت بس برضه هحكيلك..

***

1967 تقريبًا..

الأجواء مشتعلة في تلك البقعة من الخريطة.. والحالة المسيطرة أن مصر ستدخل بقدمها في خضم هذا الإشتعال.. وبدأ الجيش في الإستعداد والإستدعاء..

جاءني استدعاء للعودة للجيش بعد أن انتهت خدمتي بحوالي عام واحد.. لم أعود لمكان خدمتي وإنما لمكان آخر

في هذا المكان وقفت مثل كثيرون ممن جاءهم نفس الجواب في صف طويل لا يداري عورتنا إلا غيار داخلي سفلي.. كان كشف طبي ولكن مختلف.. أكثر فحصًا وأكثر اختبارًا، وكثيرًا رسبوا وعادوا لوحدتهم.. عندما كنا ننتقل من اختبار للآخر لم نعلم هل نسعد بذلك أم لا.. لم يكن أحد يعلم ما الذي يحدث هنا..

الإختبارات وإن كانت أكثر تدقيقًا إلا أنها معتادة.. عظام.. جراحة.. قلب.. نظر.. إلا الإختبار الأخير الذي لم يصل له إلا قلة كنت منهم..

الإختبار في مبنى منعزل.. ووقفنا أمام الباب في نهاية الممر بعد أن ثبتت في يد كل منا إبرة مثل إبرة المحاليل تلك.. باب تعلوه لمبة حمراء.. تضيء.. فيدخل الجندي حامل الكشف ثم يخرج ويسمح للتالي بالدخول.. خمس

دقائق.. نسمع أزيز ثم تضيء فيدخل ثم يخرج وتسمح للتالي بالدخول.. أما من يدخل منا فيدخل ولا يخرج!

مشاعر الخوف موجودة لا شك، ولكن يبددها سماع اسمك.. فتنتصب قامتك وتتقدم.. وربما الفكرة التي انتقلت للجميع أن هناك باب آخر للخروج..

اللمبة الحمراء.. يدخل يخرج.. أسمع اسمي.. فأنتصب وأتقدم..

أثناء دخولي للغرفة اكتشفت أنها تحتوي على جدار آخر سميك من الفولاذ يتلو الجدار الحجري مباشرة.. وانغلق الباب الخشبي ثم الباب الفولاذي وكان هناك هذا الجهاز يشبه جهاز أشعة الرنين المغناطيسي.. ثم سمعت صوت يطلب مني إعادة تعريفي ورتبتي.. وألتفت لأجد ذلك الحائط الذي يحتوي على منفذ زجاجي يقف خلفه عقيد مصري وآخرين يتضح أنهم لا ينتمون لنا.. عرفت نفسي، وكانت رتبتي السابقة مجرد ملازم أول من ضباط الإحتياط..

ما علمته فيما بعد أن الآخرين كانوا مجموعة من الخبراء السوفييت.. ما علمته أيضًا فيما بعد أن السوفييت تعاملوا معنا كفئران تجارب.. كما فعل علماء النازية باليهود..

أخبرني العقيد بأن أنزع حتى ذلك اللباس الداخلي.. وأن أفرغ حقنة من مجموعة حقن مرصوصة على منضدة حديدية داخل الأبرة بروية وليس دفعة واحدة..

أنت جندي هنا.. لا حق لك إلا أن تنتصب قامتك.. تعطي التمام وتنفذ..

نفذت الأمر وأفرغت السائل الأزرق في وريدي.. ثم توجهت إلى السرير الحديدي البارد ومددت يدي وجسدي وفقًا للعلامات المرسومة كما أُمرت.. خطواتي إليه شعرت أنها بعيدة وكأنه يبتعد وخطواتي مائلة وكأن الغرفة هي التي مالت.. تماسكت حتى وصلت ونمت فوق السرير البارد.. هل كان عليه قطرات من الدماء؟

عقلي أهدأ كثيرًا بتأثير السائل.. أهدأ لدرجة أنه لا يستطيع أن يتمسك بهذه الفكرة أو غيرها.. لم يهتم حتى بتلك الحلقات المعدنية التي قبضت على يدي وقدمي.. ولا بأن الشباك الزجاجي اختبأ خلف الفولاذ هو الآخر..

الأزيز..

السرير يتحرك دالمًا إلى الجهاز.. تبتعد الجدران.. وكل شيء يبتعد.. فقط من يقترب كانت الأضواء التي تصدر من باطن الجهاز وهي تلتف بسرعة جنونية..

الأزيز..

الأضواء تكاد تطفئ عيني.. والأزيز يكاد أن يُصِمُّ أذني.. أزيز يختلط بصوت معادن تتصادم وأصوات صرخات يتردد صداها في رأسي.. والضغط يكاد يفجر صدري.. والأطراف متخشبة..

استمر في التنفس فقط.. استمر.. فقط..

أتمنى أن يكون الجزء الماضي عقلانيًا لك إلى حد كبير.. فالجنون سيبدأ الآن..

الأزيز..

ما أراه الآن بعين الراصد من مكانٍ ما كان وأنا أدخل وأن أخفض القطعة السفلية.. تبًا أنا سيء للغاية من الخلف.. وأنا أستلقى على السرير وأنا أدلف إلى الجهاز.. وأنا في الجيش.. في الجامعة.. في المدرسة.. وأنا طفل..ظلام.. وأستمع لنبضات قلب أمي! يعود الضوء وكأنها ولادتي وال..

الأزيز..

أرى نفسي بعين الراصد وأنا أستند متعبًا أخرج من الجهاز بعدما أطفأ.. وباب آخر للخروج يدخل منه جندي يسندني للخارج..و..

ا...ل...أ...ز...ي...ز...

انطفأ الجهاز الأخيرًا.. ولازلت أتنفس..

وخرجت بنفس الطريقة التي رأيتها.. وانتقلت إلى مبنى آخر قريب لأنضم إلى ثلاثة آخرين.. ورغم الإجهاد لم أستطع أن أمنع نفسي لأن أنظر من الشباك باحثًا بعيني عن مكان الخروج الّذي كنا فيه، ورأيت السيارة النصف نقل التي يلقى فيها جثة لشاب عاري تسيل الدماء من كل فتحات جسده لتنضم إلى أخواتها..

***

جرس الموبايل.. يرد (شادي):

- أيوه يا ماما.. جدو كويس الدكتور طمني مفيش حاجة.. أنا تمام والله.. أيه؟؟ مش هتيجوا؟؟

قالها شادي بصوت أعلى لكي يسمع جده.. وتهللت أساريرهم.. ثم انقلب وجه (شادي) حينما أكملت والدته:

- أبوك مرضاش ياخدنا وصمم يجيلكم لوحده..

***

دعنا نترك كل القشور ونصل إلى اللُبّ..

التعاون المصري السوفييتي كان في أوَجِه.. الخبراء السوفييت ينتشرون في كل المؤسسات العسكرية.. الخبراء السوفييت ينظمون ويدربون ويفعلوا ما يريدون.. الخبراء السوفييت بدأوا يأخذون التعاون العسكري لمرحلة جديدة سرية تمامًا..

مرحلة تحمل أبعادًا جديدة وتحتاج للعديد من التجارب.. ولا يوجد في هذه البلد أكثر من فئران التجارب الّذي من السهل أن يختفون دون أن يسأل عنهم..

لا أعلم كل ما ذهبت إليه هذه التجارب ولكن أنا والثلاثة الآخرين انضممنا لمجموعة أخرى وثلاثا اثنان جُدُد.. كنا مجموعة كما علمنا فيما بعد مختصة في مراقبة الزمن..

انتقلنا إلى موقع في الصحراء الغربية.. موقع انتقال رحلات السفر في الزمن.. ودعني أوضح لك أن السفر في الزمن لا يتم بآلات سهلة كما تدعي الأفلام.. ليست آلة صغيرة تستطيع أن تحملها معك أو آلة تنقل من مكان إلى آخر.. السفر في الزمن يتم من موقع واحد تم اختياره بدقة محاط بأسوار عسكرية وحراسة مشددة..

موقع لا يتكون إلا من مبنى وحيد يحتوي على مجموعة من الأشخاص الذين يتغيرون باستمرار مع عدد من المولدات الكهربية الضخمة، وثلاثة عوامید دائرية عملاقة زرعت في الرمال لتصنع أطراف مثلث.. تتعلم أن تقوم بتشغيل أحدهم بواسطة مفتاح يعطي لك مع رقم سري.. ثم تقف في المركز عاريًا.. تمر فترة.. ثم تبدأ خطوط برقية تلسعك.. خط تلو الآخر.. وتشعر بانسحاب روحك ثم البعث من جديد عاريًا في نفس المكان.. تدلف إلى المبنى وتعطي المعلومات التي جمعتها.. معلومات تتعلق بالإقتصاد والسياسة.. صعود وهبوط الدول وعلاقاتها وغيره..

ثم ترحل في رحلة جديدة.. وكل مرة تحمل هوية مختلفة تمكنك من جمع المعلومات المطلوبة.. لا علاقة بين هوية والأخرى إلا الحرف الأول من أسمك لا أكثر -لعلك لاحظت تكرار حرف الميم-، ولا يحق لك التداخل مع مسارات الزمن..

مسارات الزمن تبقى معضلة حقيقية في هذه المسألة ولم أفهمها أبدًا.. في كل مسار تتخذه تكون اكتسبت خبرات ومعارف لا تعلم من أين أتت.. هل كانوا يعبثون في عقولنا ليضيفوا خبرات وقدرات لم تكن موجودة تليق

بكل مهمة؟ ربما.. المهم أنك تصبر شخص مختلف.. ثم تعود فتتراكب المسارات.. حتى تصل لمرحلة لا تعلم فيها من أنت فعلًا..

وكانت المهمة الأخير هي رحلة إلى عام 1981.. إلى منصة العرض العسكري بمدينة نصر..

***

كانت مهمة مختلفة.. بعد الإنتقال الزمني دلفت إلى المبنى الذي كان يتم إعطائي من خلاله الملابس والتوجيه الأساسي.. هذه المرة أعطوني ملابس لقيادة عسكرية برتبة لواء مع الهوية مع الموقع.. مع خبير تنكر اهتم بوجهي..

هذه المرة لم يكون المطلوب جمع معلومات ومراقبة كالمعتاد.. إنما كان المطلوب الحصول على حقيبة الرئيس (السادات) نفسه.. كيف سيحدث هذا؟؟ هناك حادث سيحدث وفقًا لمعلومات حصلوا عليها من آخرين ضمن المشروع، وأنت خلال هذا ستحصل على الحقيبة..

أجلس في المنصة خلف (السادات) بعدة صفوف.. ومرت الطائرات الفانتوم.. وتوقفت إحدى سيارات الجنود.. إنه الحادث!

انخفضت قبل أن تبدأ الحفلة.. ألقيت عدة قنابل يدوية.. مع أصوات الطلقات التي أختفت وسط أصوات الصرخات.. لا وقت هنا.. يجب أن أنفذ المهمة.. الطلقات مرة أخرى.. ومن بين الكراسي المبعثرة.. وصلت وكان الرئيس (السادات) ملقى أرضًا تنسال منه الدماء.. ويده ترتجف فوق الحقيبة..

الحقيبة هي ما أتيت لفعله.. لا تداخل مع الزمن وتفعل غير المطلوب.. كانت هذه قاعدة أساسية في اللعبة.. لأكون صريحًا لم ألتزم بهذه القاعدة دومًا واستغليت بعض رحلاتي للمضاربة في البورصة وخزن الأموال في البنوك.. هذا ليس تدخلًا في الأحداث غير أنه محاولة للفوز بأيّ شيء في النهاية.. واستغلال لما أنا مُنتَقَلٌ فيه بالفعل..

ومع حالة البرج العامة خرجت بالحقيبة.. وعدت للقاعدة في نفس السيارة.. لم أتماسك عن رغبتي في معرفة محتويات الحقيبة.. كانت هناك أوراق تخص عدة قرارات سيادية.. وكان هناك ذلك الملف الأسود ذو الشمع الأحمر المختوم بـ(سري جدًا/رئاسة الجمهورية).. الملف كان يحتوي على أوراق تخص تجارب ومشاريع عدة تتعلق بفترة السوفييت منها المشروع الّذي كنت جزءًا منه.. وكان واضحًا أن هذا هو المطلوب..

بعد أن سلمت الحقيبة أخبروني أنني سأنتقل الآن لرحلة معتادة للمراقبة، وكان هذا مخالفًا لفترة الراحة المعتادة قبل الرحلة الأخرى.. ومخالفًا أيضًا للعودة إلى فترة نقطة البداية بعد كل رحلة..

لا يهم.. أنت جندي لا يفعل غير تنفيذ الأوامر.. ورحلت لا أعلم إلى أين؟ إلى أي زمن أقصد.. ولم تكن هناك سيارة أو حراسة عندما عدت.. تجاوز الصحراء كان معتادًا في لعبتنا عندما أعود للموقع في رحلات سير تستغرق الفترة من إدبار النهار حتى قرب هلوله.. لم يكن هذا الغريب فقط.. الغريب أيضًا أنه لم تكن هناك أي حراسة أو أحد في المبنى..

تجاوزت الصحراء عابرًا.. ليس إلى نهايتها ولكن إلى الموضع الّذي اعتدت أن أحفر فيه سرًا لأترك صورًا من هوياتي وأوراق أخرى قد أحتاجها والأهم

الآن الملابس الإحتياطية.. جمعت المعلومات كالمعتاد.. وعندما عدت.. لم يكن هناك إلا عمود واحد مائل..

ما الّذي أفعله الآن.. بالطبع لن يصدق أحد هذه القصة.. لا أهتم حقيقة فأنا أعلم ما عشته.. هل أعود لأتداخل في مسارات الزمن.. القاعدة الوحيدة كانت لا تقترب.. ولكني اقتربت حتى أعلم.. لأكتشف أنني وفقًا لهذا المسار قد تزوجت جدتك وأنها أنجبت أيضًا.. وأنني أحد شهداء الحرب!

اكتفيت بالرحيل.. واكتشفت أن مساري الجديد حمل عدد من الأصدقاء الجدد والحكايات الجديدة.. حياة جديدة كنت بدأت أن أعتادها حتى رأني أحد أقاربنا في الشارع وكان هو في الأتوبيس.. قفز من الأتوبيس وتمسك بي، وجاء والدك.. وكان لقاؤنا الأول لم أعرفه ولم يعرفني.. وحاول والدك أن يعيدني لمسار مختلف.. محاولات أرهقتني أكثر مما أرهقته.. حاولت أن أفهمه ولكنه لم يفهم.. و..

***

يسمع (شادي) خطوات يعرفها جيدًا.. فيلتفت ليجد والده داخل الغرفة برأسه الصلعاء التي لا تحمل إلا الغضب.. ورائحة النيكوتين التي تقول أنه دخن علبة كاملة في الطريق..

***

(26)

هَبَّ (شادي) واقفًا عندما رأى والده.. بينما الجد تحول إلى وضع الـ(Silent)..

- بابا.. أنـ.

انقطعت حروف (شادي) بلطمة على وجهه..

- بابا أيه بقى!! دا إنت اللي بابا.. لما ما تردش على تليفوناتي وتعمل اللي في دماغك يبقى إنت اللي بابا..

ثم التفت إلى الجد:

- وأنت عايز أيه؟ عايزه يسيبني زي ما أنت سيبتني؟ مش كفاية إنت يا أخي؟ إنت عايز مني أيه؟ ها قولي عايز أيه؟

- يا بابا الحكاية..

- حكاية أيه؟ إنت حكيتله أنبي حكاية فهم بقى؟ حكاية الكائنات الفضائية اللي خطفتك وبعدين رجعتك؟ ولا حكاية أنك المزور اللي لفف بوليس العالم على رجل؟ ولا حكايتك المفضلة بتاعت السفر في الزمن وشنطة السادات؟ أوعى تكون نسيت الحكاية المفضلة ليا بتاعت إنك مجرد ظابط تاه في الصحراء وسط الإنسحاب في 67 واللي حصل والشمس بوظوله دماغه وخلوها متبطلش تخترع ذكريات كدابة؟

كان الجد صامتًا لم يتغير فيه شيء إلا طبقة دموع رقيقة غطّت عينه.. فأكمل الأب وهو يحاول أن يهدئ من حدة عصبيته:

- أنت كنت في حياتي زي شجرة الموز اللي أبنها لازم يموتها علشان يعرف يكبر.. مجرد عطلة في حياتي لازم تتشال.. بس أنا ما شيلتكش ولا موتتك.. أنا حاولت معاك كتير.. حاولت معاك وأنا محتاجك وحاولت معاك وإنت محتاجني.. إنما إنت ما حاولتش تعمل حاجة غير إنك تهرب.. تهرب وتتوه وحد يرجعك ليا.. بس أنا برضه هكون أحسن منك ومش هرميك.. في عربية هتيجي دلوقتي من الدار يخدوك.. وإنت..

أشار لـ(شادي):

- وإنت مش هتشوفه تاني.. أنا وصيت الدار أنك ما تعديش بوابتها تاني وهما ما كانوش محتاجين توصية.. لو عايز تفضل معاه خليك.. بس عليا الطلاق بالتلاتة لو ما رجعتش معايا البيت دلوقت ما إنت داخله تاني وتبقى ولا إبني ولا أعرفك..

كان اختبارًا ثقيلًا أصعب من كل الاختبارات الدراسية التي مر بها (شادي) مجمعة.. اختبار من سؤال اختيارات واحد.. اختبار انسحق (شادي) أسفله حائرًا بين الاختيارين.. لم ينبي الحيرة إلا الجملة الوحيدة التي قالها الجد منذ دخول الأب:

- روح مع أبوك يا شادي..

***

مَرّت ليلة..

الليلة لم تكن تحمل أي ضرب آخر لـ(شادي).. كان هناك أحضان من والدته وأخته ولوم ممزوج بحب عن تغيبه عن المنزل تلك الفترة دون أن يقول.. أما والده فتحولت طاقة غضبه إلى انقطاع عن الكلام معه. والتكلم عنه بصيغة المجهول.. بالإضافة إلى مراقبة كاملة لفرض عدم خروجه من المنزل اضطر والده على إثرها لأخذ إجازته السنوية، والعسكرة في البلكونة مع سجائره..

أما (شادي) فكان يجلس في غرفته ينظر للامكان.. حكاية الأب بالطبع أكثر منطقية.. ولكنها لا تستطيع أن تمحي حكاية جده بالكامل.. هل ورقة تنفيذ الأحلام وظهورها مجرد صدفة ليس أكثر؟!

قام من مكانه، وتوجه إلى المرآة يطالع نفسه.. ولاحظ تلك البقعة الحمراء في أنفه التي بدأت في الإختفاء.. تذكر سببها وابتسم.. وازدات ابتسامته مع مرور ذكرياته مع جده في رأسه في رحلات سريعة..

توجه إلى الشباك.. فكر أن يتسلل منه كما قال جده أنه فعل من قبل.. ولكن الإرتفاع وعدم خبرته ينبئانه بنفس مصير السقوط، والموت وهو لا يريد الموت الآن.. الموت.. الأحلام..

بحث في جيب الجاكيت الّذي كان يرتديه بالأمس.. وأخرج ورقة الأحلام التي كان بداخلها تلك السيجارة ذات النقطة الخضراء.. فكر أنه إذا شربها سيجد نفسه مع جده مرة أخرى.. ثم تذكر كلام (سايكو) اللعين بأنها مفردة ستدخله في غيبوبة.. ربما سيحتاج للغيبوبة فيما بعد... ترك

السيجارة جانبًا وطالع ورقة الأحلام.. طالع الأحلام المتبقية.. ثم أخرج الموبايل:

- ألو.. أيوه يا حماده.. الله يسامحك يابن الوسخة.. يابني أنت مش قايلي إني باعتلك تمنها وزيادة قبل اللي حصل.. معلش.. يا عم اعتبرها كانت مسروقة وأنا ما رضيتش أقولك.. ما قولتلك معلش بقى ما تمثلش.. المهم استلمتها يعني؟.. طب أيه هتاخدها تاني يعني؟ لا مش هيبقى بإسمي بإسم جدي.. آه.. المهم بس عايزك في مصلحة بالفلوس الزيادة اللي بعتهالك.. حبيبي.. بتعلم منك.. المهم بقى هو انتوا بتأجروا أوناش؟ طب تعرف حد؟

***

في مساء يوم آخر..

يجلس الجد في غرفته.. يلعب الشطرنج وحيدًا.. يفكر في الحصار الّذي تفرضه عليه الدار الآن أكثر من قبل.. فالباب أصبح يغلق بالمفتاح والممرضة تأتي لتطل عليه مرة في منتصف الليل.. كم يكره ابتسامتها المصطنعة.. وكم يكره أكثر منها شباب تلك الجمعية الخيرية اللذين أتوا لزيارة الدار اليوم.. وفي لحظة بدون مقدمات قلب المنضدة لتتناثر قطع الشطرنج.. ثم نظر من بين فتحات الشباك.. حتى انفتح الباب.. لابد أنها تلك الممرضة اللعينة مرة أخرى..

التفت لها ووجهه يحمل تعبير (أنا موجود أهو.. لسه ما هربتش ولا موتت نفسي).. وعندما طالع من فتح الباب تحول تعبير وجهه إلى (أنت مين؟).. فكان الجواب:

- أنا حماده..

***

الخطة كانت من النوعية التي رفضها الجد من قبل..

(حماده) اشترك في جمعية (رسالة) من أجل أن يصادق البنات.. هذه حقيقة معلومة.. ولكن جاء وقت فعل بعض الخير.. سيقترح (حماده) في جروب الفيسبوك زيارة لدار (العضن الكبير) هؤلاء المسنين يحتاجون لزيارتنا ومد يد تشعرهم بأن آخرين يهتموا لأمرهم.. كم أنت عظيم يا (حماده)..

وعند الدخول سيقوم بالإمضاء في خانة الحضور والانصراف.. الخرتيت لن يلاحظ.. وأثناء الزيارة سينفصل (حماده) عن المجموعة ويعتذر بسبب مشكلة صحية طارئة حدثت لوالده.. سينصرف ويدلف إلى أحد الحمامات حتى نهاية اليوم..

عندما تأتي الممرضة لغلق الباب سيرفض المفتاح الدخول.. ستظن أن (فرج) الغشيم قد كسر المفتاح في الباب.. أيًا كان سيأتي النجار في الغد ليصلح هذا الأمر.. إنها مجرد ليلة ليس أكثر.. لن يحدث شيء.. النجار في الغد سيكتشف خِلّة الأسنان التي كسرها (حماده) في فتحة المفتاح أثناء الزيارة..

تبًا.. الخطة لم تضمن أن الباب سيفتح الآن.. إنها الممرضة.. يعطيها الجد وجه (أنا موجود أهو.. لسه ما هربتش ولا موتت نفسي).. تنصرف عائدة إلى غرفتها دون أن تلاحظ (حماده) الذي انبطح خلف السرير بسرعة..

- طب هنعمل أيه دلوقتي في الولية دي يا حجيج؟

- ما تقلقش.. مش هتيجي تاني.. هتخش تنخمد للصبح..

واستند على (حماده).. حتى أن بعض الخطوات كانت تحتاج أن يحمله (حماده).. كم أنت عظيم يا حماده..

وفي البقعة المظلمة المتفق عليها كان الكرسي المتحرك ملقى.. والونش الموجود في الناحية الأخرى من السور يتدلى من شوكيته حبلين غليظين، وفي الونش كان يجلس (شادي)..

كيف خرج (شادي) من المنزل؟ هو يعرف خطوات والده ويعرف صوت باب الحمام.. ويعرف علبة سجائره.. ويعرف كيف يخفي منهم عدة سجائر بحيث يبقي فيها عدد أقل.. عدد أقل يكفي الوقت المسموح لأن يفرغ قليلًا من تبغهم ويستبدلهم ببعض من تبغ سيجارة (غباية) المفروط في يده.. ويعرف كيف يتوجه للمطبخ ليتصنع الشرب عندما يخرج والده الذي انتهى مصيره نائمًا مستندًا على سور البلكونة ينسال لعابه من جانب فمه..

يرفع (شادي) الونش لأعلى مع توجيه (حماده) للكرسي، وتوجهه (شادي) عن طريق مكالمة مستمرة بينهم.. يتم الهبوط بسلام.. يحتضن (شادي) جده ولأول مرة لا يدفعه ويبادله الحضن.. فيقول (حماده) قاطعًا اللحظة:

- كفاية يا جماعة علشان دمعتي قربية..

ثم أكمل:

- أظن كده خالصين يا عم.. هات الونش ده أنا هرجعه، وخد مفاتيح عربيتك.. وهات بطاقتك وتعالالي بكرة نمضي العقد قبل ما تعمل بها مصيبة تانية..

- يابني قولتلك العقد بإسم جدي..

- إبقى قوله إنت اللي قولتهولي يا حجيج.. عالم مش وش نعمة.. وسع كده يا عم وسع..

وركب (حماده) الونش.. وركبت الأحلام رحلتها النهائية..

أما (هالة) في صباح الغد فستنزع أول خصلة من شعرها منذ سنوات..

***

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

اليوم العالمي لتحقيق الأحلام (نسخة الفيوم/أكتوبر)

تزامن وصول الشمس من رحلتها اليومية مع وصولهم إلى تلك الاراضي القادمة من قبل التاريخ.. إنها الأراضي التي عبدت تماسيح بحيراتها، وزرعها النبي (يوسف)، وشهدت انتقال الحضارات..

إنها البلاد التي لم تعرف إلا التنوع.. تنوع أراضيها تنوع حضاراتها وتنوع ديانتها وتنوع أنشطة سكانها.. تنوع يكمل أجزائها فحافظت على نفسها من الإنهيار في حرب مع الزمن مستمرة من ملايين السنين..

تتحول الصحاري البعيدة إلى الأخضر ثم تعود مرة أخرى للأصفر قبل أن يصلا إلى وجهتهم، وبدأ (شادي) يتحول لمرشد سياحي بفضل ويكيبيديا.. مرشد سياحي لفوج مكون من فرد واحد:

- البحيرة اللي قدامنا دي زي ما حضراتكو شايفين إنها مليانة مياه صافية.. المياه اللي هنا موجودة طول السنة وعلى طول بتتحرك.. رغم زي ما احنا شايفين برضه الجبال حوالها من كل مكان.. وعلشان كده إتسمت بالبحيرة السحرية.. ننتقل للمكان اللي بعده..

"بحلم بحضور عرض سحري حقيقي"

بعد رحلة ليست طويلة تمر السيارة فوق طريق رملي.. يعود (شادي) ويستكمل:

- المكان اللي احنا فيه حاليًا ده كان جزء من بحر في يوم من الأيام.. البحر ده لما نشف ظهرت مصر.. لكن المكان ده أهميته في إنه فيه أقدم حفريات في العالم.. حفريات لحيتان زي ما احنا شايفين وسلاحف وشجر بيرجعوا لحوالي 40 مليون سنة.. الحفريات دي كمان بتظهر الفترة اللي الحيتان بدأت تتحول فيها لكائنات بحرية بس بعد ما كائنات برمائية بتطلع تتمشى برة كمان.. ياريت الفوج السياحي ما يقلبش وشه.. ونحترم المكان اللي يعتبر تقريبًا نقطة بداية وتحول في شكل الحياة.. وبلا علشان هننتقل لمكان تاني..

~~"بحلم أن أعود إلى نقطة البداية"~~

على كتل الصخر في منطقة (قصور العرب) تظهور خطوطًا نحتتها الرمال.. وعلى الرمال خطوطًا نحتها الهواء وزلاجات الزوار المتزلجين على الرمال..

يجلس الجد على الزلاجة.. ويناوله (شادي) حبلًا متصل بمقدمة الزلاجة وهو يقول:

- خليك شادد ده.. بس ما تشدش على أيدك اللي واجعاك.. إحنا محتاجين سلامتك..

- واضح يا وسخ..

وأخرج (شادي) الورقة وبدأ يشطب وهو يفكر من الممكن التجاوز عن فكرة الجليد:

~~"بحلم بالتزلج على جبل جليدي"~~

ثم جرى بسرعة للأسفل ليلحق بجده الّذي سقط عن الزلاجة..

يستكمل (شادي) الإرشاد بعد أن عادا للسيارة:

- لو بصينا على يمينا هنلاقي صخور سوداء ودي أجزاء من أول طريق مرصوف في العالم واللي عمله الفراعنة.. محطتنا الجاية هي شلالات وادي الريان.. الشلالات دايمًا بتعبر عن الحب وأستاذ أحمد السقا أثبت ده في فيلم أفريكانو.. ومراعاة للظروف الصحية للفوج السياحي مش هنط من فوق الشلال.. وهنعمل حاجة تانية..

في قارب مطاطي صغير يجلس الجد.. و(شادي) من خلفه يدفع القارب عابرًا البحيرة السفلية.. ثم يحاول أن يحمي جده من الماء وهما يعبرا أسفل الشلال إلى رَحِمِه..

مَرّت لحظات ثم التفت الجد إلى (شادي) من بين هدير المياه القريبة..

- أيوه يعني وبعدين؟

- لأ هو كده خلاص..

~~"بحلم أن أدخل إلى مملكة الحب"~~

في طريق الفيوم الصحراوي.. فتح الجد صندوق حكاياته:

- تسمع عن واحة زرزورة؟! إتسمت كده على أسم طائر الزرزور.. ما تضحكش يا وسخ هو أسمه كده.. الواحة دي عبارة عن تجويف في جبل ضخم.. الجبل ده من الطيارة واخد شكل الطائر.. بس ده مش الشبه الوحيد.. الشبه التاني إن الواحة دي بتعرف تهرب وتنتقل من مكان للتاني.. إنما بتختلف عنه في إنها بتحب العزلة.. عين الطائر بتطل على بحيرة وهي المكان الوحيد اللي ممكن تدخل منه للواحة.. كتير دوروا على الواحة دي ومحدش وصل.. في ناس اشتغلوا نفسهم وقالوا على واحات تانية إنها واحة زرزورة وإنهم لقوها.. طب فين الكنز؟ يسكتوا.. واحة زرزورة مليانة كنوز ده كلام الناس بتنقله لبعض من زمان.. اللي أقدر أأكده إن الواحة فعلًا فيها كنز بس أبقى كداب لو قولت إني أعرف هو أيه.. بعد كذا محاولة بالطيارة لقينا الواحة كانت قرب الفيوم.. أنا نطيت من الطيارة الشراعية ودخلت الواحة بپارشوت.. أهلها ضايفوني 3 أيام.. عرفت فيهم إنهم عايشين فيها من يوم ما إتولدوا وإنهم باقيين لحد ما تحل البشارة ويظهر الراجل اللي هيخرجهم منها علشان كنزهم هينفذ العالم بعد انهياره.. هما فهموا الأول إن أنا البشرى.. راجل نازل من السماء يبقى أكيد المنتظر.. ولما ملقوش عندي الإجابة.. اكتشفت إني واقف وسط الصحراء لوحدي وكل حاجة اختفت.. لما كررنا المحاولة ما لقيناش للواحة أيّ أثر.. وأكيد لغاية النهاردة هتلاقي في ناس بتدور ع الواحة والكنز..

كان (شادي) يستمع لجده باهتمام حقيقي.. ثم عقّب:

- مش مهم يا جدو الكنز.. مش بينقال إن الكنز في الرحلة..

- لأ.. الكنز في حتة تانية يا وسخ..

***

أكتوبر-20 كيلو..

في تكملة طريق العودة كان الجد سارحًا.. حين تدخل (شادي):

- مالك يا جدو؟ سرحان في أيه؟

- حاسس دلوقتي إن أنا أناني.. وإني هعملك مشاكل مع أبوك ع الفاضي..

- ع الفاضي!! وبعدين يا جدو أنا مش عبل صغير وعارف بعمل أيه.. مش ده كلامك!! وكمان ما تقلقش من أبويا هو مش هيفوق دلوقت من الغيبوبة.. والدار أنا هرجعك ليهم وأتخانق معاهم إن أنت إزاي خرجت لوحدك الشارع وجيت عند البيت وإنت ما ينفعش تخرج لوحدك..

- هتطلعني مجنون يا وسخ زي ما أبوك بيقول..

- عديها يا جدو.. عديها.. يمكن حكاية أبويا منطقية أكتر وواضحة أكتر ومش ناقصة قد حكاياتك بس إنت حكايتك أحلى بكتير..

- يعني إنت شايفني مجنون برضه؟

- مش قصدي والله..

- وما ينفعش تيجي في بالك حتى يا وسخ..

كان (شادي) يريد أن يوضح كلامه أكثر.. ولكن الجد استمر:

- ما ينفعش حكاية جدك تكون نهايتها إنه مجنون عنده شوية تخيلات.. ولا إنك تروح تدور على فصل الرواية اللي بدأها وتكمله، ولا حتى تكتب اللي حصلنا في رواية أو فيلم.. أو تنهيها نهاية عميقة وترجع إسكندرية وتقف ع الشط وتبدأ تدخل في البحر.. مش أنا اللي نهاية حكايته تبقى كده..

- حاضر.. أنا عايز أنا بقى أحكيلك حكاية.. أنا عارف إن إنت كنت عايز تنتحر ساعة الشباك.. ما وقعتش زي ما قولتلي.. مفيش مبرر إن حد يكتب كلمة "النهاية" على ورقة قبل ما يقع.. غير إنه حد قرر يحط نهاية لحكايته.. غير حالتك قبلها وبعدها وإنك كنت رافض تتكلم مع أي حد.. بس ده مش مهم دلوقتي.. المهم إني بعدها بشوية كده عرفت الحالة اللي إنت كنت فيها كويس.. وعارف إنك كنت دايمًا محتاج ناس حواليك يحسسوك إنك مهم ليهم مهما كنت بتبين العكس.. وإنت كنت مهم ليا.. عرفت إزاي بقى عشان ده..

قالها (شادي) وهو ينزع تلك الحظاظة عن يده اليسرى ليظهر أثر جرح قطعي:

- مش عارف إنت خدت بالك ولا لأ.. بس الحظاظة في العادي بتتلبس في اليمين وأنا كنت بلبسها في أيدي الشمال علشان أخبي بيها الجرح ده.. كانت محاولة انتحار فاشلة ما كانش عندي الشجاعة إني أعملها فعلًا.. أنت قولتلي قبل كده إن الإنتحار للي مش لاقيين حاجة يقاوموا علشانها أو زهقوا من المقاومة.. أنا أصلًا ما كنتش عارف أيه اللي يستحق إن

الواحد يقاوم عشانه.. أظن دلوقتي إني عرفت إن الحياة نفسها تستحق المقاومة..

- إنت بتعلي عليا يعني؟

ضحك (شادي) ضحكة قصيرة:

- بحاول يا جدو.. قصدي يعني إن أنا كنت محتاجك زي ما أنت كنت محتاجني.. أحلامك دي بقت بطريقة كده أحلامي أنا كمان..

- وكلمة النهاية بطريقة كده مش يمكن يكون المقصود بيها نهاية فصل مش أكتر..

***

القرية الكونية (كوزموس)..

المكان من الطائرة يبدو كخريطة مصر ببحريها وبالدلتا التي ينسال منها النيل مقسمًا إياها.. كان ميعاد غلق القرية قريبًا وتوقفت الرحلات المائية.. ربع ساعة تتبقى فقط.. ربع ساعة كافية جدًا لأن يؤخذ (شادي) جده بكرسيه المتحرك ليريه القرية.. القرية تحتوى على مُصَغَّرات ضخمة لأغلب الأماكن الأثرية في مصر.. وعند مجسم قلعة قايتباي كانا يقفا.. فقال (شادي) عائدًا لدور المرشد السياحي:

- شوف يا جدو من هنا.. ممكن تشوف الأهرامات وأبو الهول وقلعة صلاح الدين ولو بصيت هنا هتلاقي معابد الأقصر وأسوان والسد العالي.. يعني إنت في مصر كلها في نفس الوقت..

- ما كفاية يا عم زاهي حوس..

- أنا آسف..

قالها (شادي) وهو يخرج الورقة:

~~"بحلم أكون في عدة أماكن في نفس الوقت"~~

وانطلقا إلى المحطة التالية..

***

عاد (شادي) إلى السيارة يحمل تذاكر (دريم بارك) وعلى وجهه ابتسامة أكبر من الطابور الّذي مر به منذ قليل:

- أنا جيبت التذاكر.. إيه ده أنت لقيت موبايلك؟

كان الجد يمسك الموبايل اللذين اشتروه قبل الخروج من إسكندرية..

- آه.. كل حاجة موجودة..

قال (شادي) وهو ينظر لشفرة الحلاقة ملقاة في جانب:

- وأيه ده؟

- أنا اللي المفروض أسألك مش إنت خبرة في الأمواس..

- هو غالبًا حماده بقى بيسطر بودرة.. وبعدين يا جدو أنا عملتها بكاتر.. هي ورقة الأحلام فين؟

- ما أعرفش.. هتلاقيها زي ماسيبتها..

أخذ (شادي) الورقة.. وعاد ليدفع كرسي الجد.. وهو يقول:

- الكرسي ده هنستغله أحسن استغلال.. أنا عرفت إن مفيش طابور للـ..

لم يكمل فأكمل الجد:

- للمعاقين يعني متقولهاش متتكسفش.. وهنحتاج الكرسي في أيه ما إنت كفاية؟!

ضحك (شادي) وهو يقول:

- ماشي يا جدو..

توقفا بالقرب من لعبة (الصاروخ) مرورًا بـ(الإعصار) وال(تورنيدو) وغيرهم.. فمال (شادي) على جده:

- أيه أكتر لعبة من دول مخوفاك؟

فقال الجد وهو يصطنع الثقة:

- هو إنت تعرف عن جدك إنه بيخاف..

ثم توجه بنظره ناحية قطار الموت.. كان صوت مرور القطار على القضبان يذكره بصوت لم يكره مثله..

الأربز...

كان (شادي) ينوي تكرار السؤال حين أجاب الجد قبله وهو يشير برأسه تجاه (قطار الموت) :

- ممكن ده..

- يلا بينا.. استناني هنا هجيب حاجة وأرجعلك..

غاب (شادي) قليلًا وعاد يحمل القناع من فيلم (Scream)..

- بص يا جدو.. إنت هتلبس القناع ده وأنت اللي هترقبني.. علشان لو عندهم مشاكل مع كبار السن ولا حاجة..

- تصدق إنت كبرتلي حاجة تانية غير السن.. خلص..

كان الجد يستند على الكرسي مُدَّعِيًا الدفع.. وفتح لهم العامل على اللعبة بوابة أخرى.. وتسند (شادي) على الجد وإن كانت الأدوار متبادلة.. حتى جلسا، وبعدما مر العامل الذي يطمئن على انغلاق الأحزمة.. نزع الجد القناع.. أخرج من جيبه ورقة لكز (شادي) لكي يلحظه فأذرع القطار كانت تحول الرؤية المباشرة..

- أيه الورقة دي؟

- لما نتزل هقولك..

بدأ القطار في الصعود.. فأكمل الجد:

- عارف يا شادي.. سيبك من موضوع أنك وسخ يعني.. بس أنا إتبسطت بالرحلة دي..

- وأنا ك...

- (مقاطعًا) سيبني أكمل بس.. فاكر لما سألتك لو إنت شخصية في رواية هتبقى مين.. أنا ما قولتش بقى أنا هبقى مين.. أنا كنت هكون كل شخصيات الرواية..

- يعني أيه؟

- دي حاجة ملهاش معنى محدد واللي تفهمه منها يبقى صح.. ممكن أصلًا ما يكونش لها معنى..

قبل أن يجد (شادي) فرصة لقول جملة أخرى كان القطار قد بدأ الهبوط بسرعة منطلقًا، وانطلقت الصرخات معه..

عندما بدأ القطار في التوقف.. قال (شادي) لجده:

- أيه رأيك بقى يا جدو؟؟ استنى بس قبل ما ترد..

قالها وهو يخرج الورقة ويشطب..

~~"بحلم أن أحدى أكبر مخاوفي"~~

كان يقولها وهو يعلم أن الجد سيرد أيًا كان بجملة تنتهي بـ(يا وسخ).. ولكن الجد لم يرد.. وكان لا يستطيع أن يراه.. فنادى:

- جدو!

لكزه..

- جدو!!

توقف القطار ورُفِعَت الأذرعة.. وكان الجد مغمضًا قرير العين بهزه (شادي) برفق ثم بخشونة..

- جدو ما تهزرش!! جدو!! جدو!!

ثم يصرخ:

- جدووو...

في نهاية اليوم سيعلم (شادي) أنَّ ما كُتِبَ بالورقة التي أعطاها الجد له هي كلمة (النهاية)..

***

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

مدافن العمود..

(شادي) لا يهتم..

لا يهتم بـ(عب وارث) التُرْبِي الذي ظهر فجأة بورقة تحمل وصية الجد بأن يدفن في الإسكندرية وأن يتولى (عب وارث) ذلك.. لا يهتم بكيف عرف (عب وارث) بأمر الوفاة وجاء في الموعد.. (عب وارث) يقول بلهجته الصعيدية:

- الميت بيحص قبل أجله بأربعين يوم.. والوصية واجبة دي أمر الله.. هو جالي وهو عارف.. وإنا لله وإنا إليه راجعون..

لا يهتم بمن دعاهم (عب وارث) وفقًا للوصية.. هل كان من الحضور أشخاصًا قابلوهم في رحلتهم أو قابلهم الجد في حكاياته؟ هل كان القبر المجارو تمامًا مكتوب عليه (كاربمان)؟ لم يهتم..

هل كان الحزن باديًا على وجه والده؟ لم يكن مهم أيضًا..لا يهتم إلا بالقبر الذي يقف أمامه.. لا يهتم إلا بأن يحاول أن يخترق بعينيه جدار القبر ليرى وجه جده مجددًا.. لا يهتم بدموعه التي أغرقت وجهه..

لم يخرج من تلك الحالة الأحادية إلا بدخول فرقة السيرك الأوروبي بالإسكندرية.. بأسودها بنعابينها بساحرها بمهرجها بلاعبو الأكروبات..

اللذين دعاهم (عب وارث) ليقدما فقرة هنا وفقًا للفقرة الأخيرة في الوصية..

وإن لم يشرح الجد المعنى إلا أن المعنى كان واضحًا لـ(شادي) الميت لا يشعر بالحزن وهو يريدنا أن نكون مثله.. فقرة السيرك وإن لم يستسيغها الحضور في البدء ولم تستسيغها الفرقة إلا بعد المبلغ الّذي تركه الجد لهم.. إلا أنها بعد دقائق جذبت الإهتمام.. وبددت الحزن.. وفعلت ما أراده الجد تمامًا..

وحده يجلس (شادي) بمشاعر مختلطة الآن.. ما بين الحزن والفرح والغضب والهدوء.. انثنى بالقرب من القبر ينتوي أن يدفن ورقة الأحلام وورقة النهاية بجوار القبر.. عندما تذكر ذلك الحلم الأول.. وجه نظره إلى الحضور الّذي جذب السيرك أنظاره بغير اهتمام ثم عاد إلى الحلم الأول الّذي أصبح الأخير..

~~"بحلم أن يكون حولي كل من أحبهم ويحبونني"~~

نظر للورقة التي كانت كل واحد من أحلامها الآن يمتلك خطًا.. هل كانت النبوءة حقيقية لهذا الحد؟ لم يكن أيضًا يهتم..

أخذ نفسًا قصيرًا من أنفه عسى أن يمنعه بعض التماسك.. وصنع بيديه حفرة قصيرة.. حين تسللت لأنفه تلك الرائحة النفاذة، وربتت يد صاحبها على كتفه، وسقطت ورقة مثنية على بعضها أمامه.. لم يهتم في البداية..ثم تَنَبَّهَ لشكل الورقة! أمسكها ونظر خلفه فلم يجد أي شخص قريب منه.. لكن أثر الرائحة لازال موجودًا!

يقف.. يلتفت يبحث بنظره.. يبتعد عن الجمع ويخرج للطرقات التي تمر بين المقابر.. لا أحد.. إلا ذلك الشخص على طريق موازي.. شخص متدثر في رداء أسود يغطيه بالكامل.. ويحمل شمسية سوداء.. الشخص يمشي متعجلًا.. وشادي يواكب ذلك التعجل.. تأتي مقبرة تحجب الرؤية ثم يراه.. يحاول أن يتبين وجهه ولكن الشال الأسود المتدلي على رأسه يمنع ذلك.. الطريق الّذي يقطع الطريقين يقترب.. يسرع (شادي) من خطواته.. ولكن الشخص غير موجود إنما فقط سيارة يعلمها جيدًا.. سيارة فولكس قديمة.. يحاول أن يلحق بالسيارة التي انطلقت.. ولكنه لم يلحق إلا بأرقامها وسط الغبار..

ح ل م 100

تذكر (شادي) شيئًا جعله يفتح ورقة أحلام جده التي لازالت في يده.. يعود إلى الحلم المانة.. كلام لا معنى له مشطوب.. كلام مكتوب على ملصق أبيض يمكن نزعه يعرفه جيدًا.. ينزعه ليجد أسفله حلم مكتوب مكان آخر تمت إزالته بشفرة حلاقة.. حلم كتب فيه..

~~"بحلم ألا تنتظر مالي من يأتي ليحقق لك أحلامك"~~

***

(100)

مرت شهور.. وجاء شهر رمضان وكان يوم عرض حلقة جديدة من برنامج (داعش ومش داعش) حلقة عرفها (شادي) عندما بدأت.. كان قد أخبر أهله بجزء من رحلته مع جده منها هذا الجزء.. كانوا يضحكون حتى والده.. ابتسم وتركهم ودلف إلى غرفته وتلك المشاعر المختلطة تعود إليه..

أخرج ورقة خبأها منذ فترة وقد علم ما تحتويه.. لم يكن يشعر أن وقت ملأها قد حان بعد، ويشعر الآن أنها تناديه.. جلس إلى المكتب وفتح الورقة المثنية على بعضها.. مَلَءَ صدره بالهواء وبدأ يكتب..

{ورقة تنفيذ أحلام}

بحلم

؟؟

أعلم الآن تمامًا أن كل ما مررنا به لم يكن حلمًا..

ربما يكون ما مررنا به لم يكن إلا حلمًا بالنسبة لجدي أما أنا فلا..

هل كان موته حلمًا؟ لا أعلم.. لكن لم يعد موجودًا الآن..

اختار النهاية التي ترتضيه لحكايته.. حتى وإن لم أكن أقبلها تمامًا..

هل فهمت تلك النهاية؟ ربما ليس بشكل كامل.. ولكنها لم تكن نهايتي أنا..

نهايتي لم تأتي بعد.. وحكايتي ربما لم تبدأ بعد..

ماذا أريد؟ لا أعلم ما أريده تمامًا بعد ولكن ما لا أريده هو أن أكتب أحلامي هنا..

أحلامي الواضحة لي الآن.. سأبدأ بتنفيذها بعد أن أنتهي من الكتابة..

ربما.. بل غالبًا لن أكمل الكتابة..

"النهاية"

ساحر الكتب
WWW.SAHERALKUTUB.COM

عن الكاتب

محمد جلال.. مصري من مواليد أكتوبر 1989.. حصل على بكالوريوس في هندسة الطيران..

شارك في كتابة العديد من البرامج آخرها (الليلة دي)، (أسعد الله مساءكم)..

صدر له سابقًا:

- سِفر التحليق 2015
- الكتاب الأصفر 2014
- أربعة 2011

https://www.facebook.com/M0hamed.galal